

كتبة فومية

# السيرة العراقية

فت الميزان

بقلم  
حسن حافط



0278171

Bibliotheca Alexandrina





اهداءات ١٩٩٩  
الأستاذ/ كامل إبراهيم  
أستاذ وفنان الخط العربي

كتب قومية

# الثورة العراقية في الميزان

بقلم  
حسن حافظ



## الأهداء

إلى أبطال ثبتوا في المعركة .. فكانوا أبطالها الحقيقيين ..  
إلى أبطال حفظوا الشرف العسكري ، فرفعوا من قدر الكفاح  
المصري ..

إلى محمد عبيد : الذي فك حصار الزعماء المصريين من براثن الشراكسة  
والأتراك في قصر النيل ، والذي صمد لدافع الإنجليز حتى لقي ربه ..  
وإلى راشد حسني : « أبي شنب نضة » الذي ثبت للإنجليز في معركة  
القصاصين .. والذي زحزحهم عن مواقعهم حتى كاد ينتصر لولا خروجه  
من المعركة جرحاً ..

وإلى حسن رضوان : الذي أصلى الإنجليز ناراً حامية حتى رد له قائد  
الجيش الانجليزية سيفه وهو محمول على نقالة احتراماً له وتقديراً لشجاعته ..  
وأخيراً ..

إلى الكثيرين من الأبطال المجهولين من أبناء مصر .. الذين جمعوا  
القروش والحبوب ليساندوا جيشهم ضد الغاصب المحتل .  
إلى هؤلاء .. وهؤلاء جميعاً ..  
أهدي إليهم هذا الكتاب ..



# مقدمة

## تصحيح تاريخ مصر الحديث

يقول الفيلسوف ابن خلدون :

« إن المؤرخين والمفسرين كثيرا ما وقع لهم من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غشا أو سمينا دون أن يعرضوها على أصولها أو يقيسوها بأشباهاها أو يحكموا النظر والبصيرة في الأخبار . . فضلوا عن الحق ، وتاهوا في يداء الوهم والغلط » .

وهذا الذى كتبه ابن خلدون يصدق إلى حد كبير على كثير مما دونه المؤرخون والكتاب عن تاريخ الثورة العرابية .

والحق أننى لم أعثر حتى الآن على ذلك المؤرخ الذى كتب عن الثورة العرابية دون أن يكون متحاملا . . أو محاييا . .

وأماى ثلاثة كتب لثلاثة من مؤرخينا :

كتاب تاريخ مصر السياسى للأستاذ محمد رفعت

وكتاب أحمد عرابى للأستاذ عبد الرحمن الرافعى

وكتاب عرابى الزعيم المفترى عليه للأستاذ محمود الحفيف

وصف الأول الثورة العراقية بأنها فتنة عسكرية . . وفي مكان آخر بأنها « هوجة هوجاء ونقطة سوداء » . .

والثورة العراقية حركة وطنية ووثبة من وثبات التحرر . . . ومن عجب أن يصفها مؤرخ بهذا الوصف الذي يتجاهل الوقائع ويحافى أبسط قواعد المنطق الذي يرتب النتائج على المقدمات ، انظر إليه وقد سرد أسباب الفشل قبل عرض الوقائع أو التحدث عن الأسباب !

وكان الأستاذ محمد رفعت وزيراً للمعارف حتى عام ١٩٥٢ وظل كتابه هذا يدرس للجيل الناشئ حتى وقت قريب .

. . ثم يأتي الأستاذ عبد الرحمن الرافعي فيصف الثورة العراقية بالمهزلة مع أنها كانت مأساة !

ولا يذكر « الخيانة » في كتابه ذي المائتين والتسع عشرة صفحة بين الأسباب التي أدت إلى الإخفاق . .

ثم يحمل عرايا ، وعرايا وحده دون أحد سواء مسؤولية انقسام البلاد إلى معسكرين : معسكر الحديو ومعسكر الثوار . .

وكان الأستاذ عبد الرحمن الرافعي سكرتيراً للحزب الوطني . . والحزب الوطني كان يناصر عرايا وثورته العداء .

وأخيراً يأتي محمود الحفيف ليحاول إنصاف عرابي فيخونه التوفيق . . كان الحفيف محامياً أكثر منه كاتب تاريخ ، جنعت به العاطفة فبعد عن الحقيقة ، انتحل من المعاذير والأسباب لعراي أكثر مما تحمل المعاذير



والأسباب . . ونسى أن التاريخ يحكم بالتأثير . . وأنه قاس لا يغفر الأخطاء .  
ولو صدرت من المخلصين .

فإلى متى تتصرف في التاريخ . . ونلونه بما يروق لنا من ألوان ونطوعه  
للأهواء والنزوات ؟

ليس في تاريخنا — الحافل أحيانا بالمتناقضات — إلا الموقف المشرف  
والقصد النبيل . . لقد اختلطت بالتاريخ على أرضنا عوامل الحق بعوامل  
الباطل وعوامل الحق بعوامل الغدر ، بذرات الغبار . .

وكان لزاما علينا ونحن نروى تاريخنا أن تفصل بين العوامل ، لنعمني  
وقائع التاريخ من كل ما شابهها ، ونحررها من كل ما علق بها من أدران .  
وما نكاد نتفحص عنها ذرات الغبار لنراها عارية حتى تبدو جليلة أمام  
العقل المتفطن والنفس الشفافة . . وعندئذ نستطيع أن نتبين العوامل  
أصليها ودخيلها وأن نرى الأشخاص والدوافع والأسباب والتأثير كما ينبغي .  
أن يراها المؤرخ الذي ينصف نفسه عندما ينصف التاريخ . .



قبل المشورة



## الحملة الإنجليزية على مصر

تعتبر الحملة الإنجليزية على مصر حلقة من سلسلة الحروب والنازعات التي دارت بين الشرق والغرب منذ أقدم العصور . . وقد تعللت بدفع الخطر ، وأحياناً بالبحث عن الثروة وصراع البقاء . . ولكنها في حوادثها الأسيفة التي انتهت باحتلال مصر سنة ١٨٨٢ قد تمثلت في دورين كبيرين أحدهما لاحق بالآخر ومكمل له ومتوقف عليه .

« هذان الدوران هما دور الحروب الصليبية . . ودور المسألة الشرقية » . كان الصراع في الحروب الصليبية موجهاً إلى البلدان العربية باعتبارها في ذلك الوقت أقوى الدول الإسلامية وقلب البلاد العربية . . ولكنها هدأت عندما طرقت جيوش العثمانيين أبواب بودابست وفيينا ثم تحولت حملاتهم إلى الشرق وغزوا مصر في أوائل القرن السادس عشر .

وشغلت في أثناء ذلك دول أوروبا باكتشاف أمريكا وحروب فرنسا ودعوة الإصلاح الديني ، ثم عادت في أواخر القرن السابع عشر وانتهت إلى النزاع الناشب بين روسيا الناشئة والدولة العثمانية الشائخة ، فكان هذا التنبيه فاتحة مسألة جديدة عرفت باسم : المسألة الشرقية .

وكانت سياسة الدول حيال المسألة الشرقية درساً تطبيقياً لمذهب القائلين « بالسياسة الجغرافية » ، وخلاصته : أن مركز الأمة الجغرافي



يتملى عليها سياستها على اختلاف الحكومات والمعتقدات . . . ١٠

أملى هذه السياسة على إنجلترا موقعها البحرى واستيلائها على الهند أن تحتل جبل طارق ورأس الرجاء الصالح وعدن ومالطة ومصر ، وتعلت في احتلالها لكل واحدة منها بعة ، بينها وبين العلة الأخرى بعد ما بينها جميعاً من مسافات ... ولكن « السياسة الجغرافية » هى العلة الوحيدة التى تطوى جميع تلك العلل ، والغاية التى تسبق جميع الغايات .

### التنافس الاستعمارى

بدأ القرن التاسع عشر وإنجلترا وفرنسا تتسابقان فى ميدان الاستعمار حيث كانت إنجلترا فى ذلك الوقت أقوى دول البحر ، على حين كانت فرنسا أقوى دول البر ، وكلتاهما تتجه إلى البحر الأبيض المتوسط . وإنجلترا شديدة الحرص على سلامة الطرق بين مستعمراتها الشاسعة وبين الجزر البريطانية .

وعلقت بذهن فرنسا نصيحة نابليون : « إن مصر موصل تجارى هام بين الشرق والغرب ، وإنها إذا افتتحت فلن تقوم لإنجلترا قائمة فى بلاد الهند ولا سيما بعد شق قناة بين النيل والسويس » .

واشتد التسابق عند ما دخلت الدولة العثمانية فى دور الانحلال حتى سماها الساسة الأوربيون « بالرجل المريض » .

ولعل البارزة الدولية حول مصر فى العصر الحديث قد ظهرت للمرة الأولى بين روسيا وإنجلترا ، عندما أعلن على بك الكبير استقلال هذه البلاد إلا أن خصمه « محمد أبو الذهب » استعان بالإنجليز ، وكان حليفا

لهم يسر لهم وصول السفن الإنجليزية إلى السويس . . . واتفق هذا مع ثورة  
الحواطر في العالم الإسلامي على روميا المسيحية في ذلك الوقت ، فغلب على  
بك الكبير على أمره وعادت مصر إلى ما كانت عليه نهياً للممالك .  
وأخذت إنجلترا وفرنسا تترقبان ، وكل منهما تتصيد أقوى الممالك  
بأسا إلى جانبها حتى آلت الولاية إلى محمد علي . . . ويبدو أن فرنسا كانت  
أعلم بحقائق الأحوال في مصر من منافستها هذه المرة ، فأيدت فرنسا ترشيح  
محمد علي لدى الباب العالي بمسعى مسيو « ماثيودلسبس » صديق محمد علي  
ووالد فردينان دلسبس صاحب مشروع القناة

#### حملة فرير :

غير أن الانجليز عارضوا في ولاية محمد علي ووجهوا إلى مصر حملة  
كبيرة مكونة من ٧,٠٠٠ جندي بقيادة فرير عام ١٨٠٧ كان غرضها  
بمختلف عن غرض الحملة التي أرسلت عام ١٨٠١ لطرد نابليون ورد مصر  
إلى الأتراك . . . ولكنها في هذه المرة كانت تقصد معاونة الممالك والقضاء  
على سلطة محمد علي وتفوذ الفرنسيين . . . حسبها الانجليز نزهة حرية ،  
غير أنهم ما كادوا يحتلون رشيد حتى أطبق عليهم محافظ المدينة على « بك »  
السلانكلي من كل جانب وأباد عدداً كبيراً من القوات الغازية ، واضطر  
الباقى إلى الجلاء مدحورين

وظلت إنجلترا تتحين الفرص لتحقيق مطامعها في مصر ، حتى أثارت  
الدول ضد محمد علي خشية اشتعال حرب كبيرة إذا انهارت دولة آل عثمان  
وحتى أبرمت معاهدة سنة ١٨٤٠ التي كانت نكبة على مصر حيث تذرعت  
بها بريطانيا واتخذت منها « غلا » يقيد تصرف المصريين . ١

## قناة السويس

وفي نهاية حكم محمد علي بدأ التفكير الفعلي في إنشاء طريق يربط الهند بالغرب عبر مصر ، فقام صراع بين فكرتين أو بعبارة أدق بين دولتين هما إنجلترا وفرنسا .

كانت الأولى تبغى احتكار الخط الحديدي بين الإسكندرية والقاهرة في حين كانت فرنسا تجبذ مشروع القناة الذي كان لابد أن يصبح مسألة دولية ولذلك قال « مترنيخ » السياسي الداهية عندما أتى ذكر القناة : « إن شركة خاصة لن يسمح لها بتنفيذ المشروع من غير أن تستعين بالحكومات » .

فتلكأ المشروع وتعثّر بسبب ماساور إنجلترا من مخاوف نتيجة أن هذا الطريق — باعتباره طريقاً بحرياً عاماً — سوف يفتح آفاقاً جديدة لجميع الدول ، علاوة على أن إنجلترا كانت تخشى أن يكون من وراء هذا الجهرية من جانب فرنسا للاستيلاء على مصر . . . إلا أن محاربة إنجلترا لهذا المشروع لم تدم طويلاً عندما نشبت فتنة الهند ، واستنكرت جميع الدول موقفها الأناني حتى اضطرت في النهاية إلى تأييده ، بل وأكثر من ذلك اعترفت — عندما انبرى غلادستون يدافع عن المشروع — أنها ستستفيد من القناة أكثر من أية دولة أخرى .

أما محمد علي فقد أبدى رأيه بصراحة في هذا المشروع إذ وصفه بقوله :

« أنا لا أريد أن أجعل وادى النيل ممراً دولياً .. كما أنى لا أرغب فى إيجاد بوسفور آخر » .

ومات محمد على سنة ١٨٤٩ من غير أن يتقيد بأحد المشروعين . .  
وتولى عباس الأول وكان لا يميل إلى الحضارة الأوربية الفرنسية .  
وسرعان ماالتف حوله القناصل الانجليز ، وسبقوا منافسيهم ووقعوا عقد إنشاء خط حديدى يصل الإسكندرية بالقاهرة . إلا أن حلم القناة قدر له أن يتحقق على يدى الوالى سعيد باشا ثم قدر للمشروع أن يظهر بعد ذلك على يدى إسماعيل .

وافتحت القناة رسمياً فى ١٧ نوفمبر سنة ١٨٦٩ فى موكب من ٦٧ سفينة يتقدمه اليخت الامبراطورى « النسر » وعليه الامبراطورة « يوجينى » .  
وبهذا أصبحت قناة السويس جزءاً من جغرافية العالم الطبيعية والسياسية ، وأصبحت بيت القصيد فى التيارات السياسية فى الشرق الأوسط ، وظهر اقتراح خطير مؤداه أن تتقدم الحكومة البريطانية لشراء الشركة وبذلك تسيطر على القناة ، فاقترح دلسبس درءاً لهذا الخطر بيع القناة لدول أوروبا البحرية مجتمعة حتى يضمن دولية القناة .

وأخيراً أنقذ الباب العالى الموقف حين أعلن : « إنه لا يمكن إقرار مبدأ بيع أو تكوين إدارة دولية فى أرض هى ملك له ا » .

## مصر في قبضة الديون

بلغ ما تحملته مصر وحدها من إنشاء نفقات القناة ما يزيد على النصف، أى ما لا يقل عن ١٦ مليون جنيه ، فكانت القناة من الوجهتين المالية والسياسية وبالا على مصر . . ولا ريب أن شق القناة دفع إسماعيل إلى بعض وجوه الإصلاح ومجاراته المدنية الغربية . . وعجزت فرنسا عن تأييده مادياً أو أدنياً حيث خرجت منهوكة القوى بعد الحرب السبعينية ، فتحينت إنجلترا الفرصة وأظهرت استعدادها لإقراضه . . فتحول الخديو إلى البيوت المالية الانجليزية وتحولت إنجلترا من الدس ضده في الآستانة إلى التوسط له عند السلطان في تحقيق مطلبه في وراثة العرش التي وقفت فيها موقف المقاومة على طول عهد عباس الأول ، فصدر فرمان العثماني بذلك ، ثم ما لبثت أن طلبت توسيع حقوق الخديو على لسان سفيرها في الآستانة « هنرى أليوت » الذي ص. ح :

« بأن ما ناله الوالى من الحرية في الإدارة الداخلية لا قيمة له ما لم تكن له الحرية المطلقة في ارتياد الأسواق الأجنبية التي لا غنى عنها ، وفي إنجاز المشروعات الضرورية لتنمية الثروة المصرية » .

وكشف هذا التصريح عن نية إنجلترا في التدخل في شئون مصر

حدث ما كان متوقفاً وتفاقت أخطار الديون واستعصمت أزماتها حتى وصلت الحال إلى أسوأ درجة بسبب حرب الحبشة إلى أن اضطرت.



الحكومة إلى بيع حصتها في شركة القناة . . فسارعت إنجلترا أيضاً للحصول على هذه الصفقة وماهى إلا فترة قصيرة حتى طلب الحديو من إنجلترا إيفاد أحد الخبراء لإنقاذ الحالة المالية فأرسلت الحكومة لجنة برئاسة المستر « كيف » عضو البرلمان لتقدم تقريراً وافياً عن الحالة الاقتصادية في مصر .

وقد جاء في هذا التقرير الذى استغرق وضعه شهرين :  
« تشكو مصر من الجهل والإهمال والتبذير . . وتشكو كذلك من كثرة النفقات التى سببها إنجاز مشروعات إصلاحية ولكنها أنجزت بسرعة وبدون دراسة » .

واقترح للعلاج إنشاء إدارة للمراقبة المالية يرأسها موظف إنجليزى وهكذا خططت إنجلترا بعد شراء أسهم القناة أول خطوة علنية للتدخل فى الشؤون المصرية .

### الرقابة الأجنبية :

وكما هى العادة فى كل المشروعات الاستعمارية اتخذت الأمور للمالية أداة للاعتداء .

انتقلت الرقابة المالية إلى رقابة عامة على الحكومة المصرية عندما قبل إسماعيل حضور « لجنة التحقيق العامة » التى منحت سلطات واسعة فى الإشراف على الدواوين حتى وصل الأمر إلى ارتهان موارد الدولة وأراضيها ، بل تفننت الرقابة فى ابتداع الوسائل لتحصيل الضرائب ، وفرضت ضريبة السخرة يؤديها من يريد إعفاءه من العمل بغير أجره .



نوبار باشا  
أحسن وسيلة للحصول على المال : إحالة الضباط  
إلى الاستبداد

فى حفرة الترع وتدعيم الجسور . وسبق آلاف المصريين كقطعان الماشية  
للعمل تحت لهيب السياط .

ولكن أخيراً وجدت الرقابة أن أفضل وسيلة للحصول على المال إحالة  
عدد كبير من ضباط الجيش يربو على الألف إلى الاستبداع . . فتجهمرو  
الضباط واعتدوا على نوبار وولسن عند حضورهما لوزارة المالية لولا حضور  
الحديو الذى أنهى الأمر بسلام فأثنى القناصل عليه لحسن تصرفه . .  
فانتهازها فرصة ليخبرهم بأنه لن يكون مسئولاً ما لم تكن لديه السلطة  
الكافية ، فاستقال نوبار بحجة عدم ضمان الأمن والنظام .  
وتعد هذه المظاهرة أول نذير بالثورة العراقية .

### النهضة الفكرية :

بدأت الحياة تدب فى أطراف مصر فى نهاية حكم إسماعيل . . ونهضت  
طبقة تطالب بالإصلاح .

كانت الأذهان متفتحة . . ولكن من ينطق ؟

والأعين ناظرة . . ولكن ماذا ترى ؟

والأفكار مهيأة . . ولكن كيف تعمل ؟

لقد شكت الأفلام شدة الظلم ، وأوشكت المحابر أن يجف . .

وأصبح منهاج الحاكم وعدا يخلف ، ووجد الأجنبي الممول الذى يحطم به  
نهضة الوطن فى اجتذاب فريق من أبنائه والغرباء عليه ، أخذ يحقق رغبات  
الاستعمار وشهوات النفس من الاستحواذ على الضياع وسلب الأموال حتى  
أصبحت النفوس لا تستقر على حال .

أخذ العقلاء المصريون يفكرون في التخلص من هذه الحال خصوصاً  
أن التدخل الأجنبي اشتدت وطأته ، وأثقلت الديون أرض الفلاح وغلته  
ومواشيه فكان المنفذ — كما يقول اللورد ملتر — هو الطريق للمرابي . .  
ومن لم يشك من المرابي يشك من الإدارة ١

وتشاء الظروف أن يهبط وادي النيل في ذلك الوقت الشيخ الثائر  
« ثائر الشرق الأول » الشيخ جمال الدين الأفغانى الذى قيضه الله للشرق  
بدأ هزته بقوة وعنف فأيقظته من غفوته ، وأخذت يده من قاع البئر ،  
فقد كانت الثورة والثورة الدائمة أسلوبه وطابعه ، فليس غريباً إذن على  
من وقف في هذا العهد الذى خيم عليه الظلام والذى خيل للناس أنه ظلام  
لن يعقبه نهار . . ليس غريباً إذن على من وقف في هذا العهد منذ ثمانين  
عاماً لذكر الشعب بحقه في قوة وجرأة وعنف أن يطلق عليه الثائر الأول .  
والشعب في هذا الوقت لم يكن ينظر إلى الحاكم إلا بأنه السيد المطاع ١  
ليس غريباً إذن أن يكون الثائر الأول من يخطب في عهد إسماعيل  
في صرخة عالية مدوية :

« أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتنبت منها ما تسد به  
الرمق وتقوم بأود العيال . . فلماذا لا تشق قلب ظالمك ؟ لماذا لا تشق  
قلب الدين يأكلون ثمرة أتعابك » ؟ .

بهذه الجرأة التى لم يكن للناس بها عهد كان جمال الدين يكافح  
الاستبداد . . وبهذه الجرأة أيضاً كان جمال الدين ينزع قناع الدل والهوان  
عن الضعفاء والمستضعفين . لقد كان يؤمن بفكرة تنبعث من ذلك القلب

الذى يتأجج بالثورة . والثورة لا تقف عند حد الإطاحة بالحكام الفاسدين بل تتعداها إلى قلب النظم الفاسدة ، تلك النظم التى قوامها ليس الحاكم الفاسد وحده بل الشعب الذليل أيضاً ، إذ لن يكون هناك أبداً إصلاح بتغيير الحاكم ما لم يكن مصحوباً بتغيير المحكوم ، فلولا العبيد ما كان الأسياد . . ولولا الذل ما كان الاستعباد !

وعلى هذا حمل جمال الدين موطاً قوياً يقرع به الشعب للترشح تحت وطأة الطغاة المستبدين حتى أخذ عليه البعض عنفه وتطرفه إلا أنه كان يقوم بمهمة « قارع الطبول » فى بداية المعركة . . وهذه يجب أن يعلو صوتها حتى يمتشق آذان الحاملين ! فلم يحجم عن أن يصارح قومه برأيه ويصرخ فيهم بأعلى صوته عند الصلاة :

« لقد تناوبتكم أيدي الغاصبين وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه ، ويهيض عظامكم بأداة عسفه ، وأنتم كالصخرة الملقاة فى الفلاة لا حس لكم ولا صوت .

انظروا أهرام مصر ، وهياكل منفيس ، وآثار طيبة شاهدة بمنعة آبائكم وأجدادكم .

هبوا من غفلتكم ، وامحوا من سكرتكم . . وانفضوا عنكم غبار الغباوة والخنول وعيشوا كباقي الأمم أحراراً سعداء أو موتوا كراماً شهداء ! » .

ثم ينحى على المصريين فى مكان آخر تفرقهم ويدعوهم إلى الاتحاد . وينبذ الاختلاف والتشريد فى كلمته الخالدة :



« إن أقتل أدواء الشرق داء انقسام أهليه ، وتشيت آرائهم واختلافهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف . وقد اتفقوا على ألا يتفقوا .. ولا تقوم على هذا لهوم قائمة » .

ولم تكن المجاملة التي أضفاها عليه الحديو إسماعيل من اكرامه واجراء مرتب ثابت عليه لتجعله يغض الطرف عما يراد بالبلاد ، بل انبعثت الأحاديث الملتية في صدره . تشع النور والنار :

« إن الإسلام والنيل لا يجتمعان في قلب واحد » .

وشاءت عجلة الحوادث أن تخدم الثورة ، فقد أخذ إسماعيل يلتبس الأماليب للتخلص من السيطرة الأجنبية فعمد إلى إنشاء مجلس شورى النواب ليكون معبراً عن إرادة البلاد ، كما ألف الشيخ جمال الدين أول حزب سياسى فى مصر أسماه : « الحزب الوطنى الحر » كان من أعضائه محمد عبده والبارودى وعبد الله نديم والمويلحى والشريعى . .

وتبلورت الأفكار حول شعار هذا الحزب الذى لم يسمع عنه من قبل فى مصر ألا وهو « مصر للمصريين » .

وقد وقف هذا الحزب عقبة كأداء فى سبيل تحقيق أغراض المستعمر ، وكانت التربة صالحة لنمو بذور الاصلاح ، فما أسرع أن نمت بذرة الحرية . وظهرت فى البلاد حركة حرة كأعظم ما تكون الحركات الحرة انبعثت منها نهضة صحفية ونهضة اجتماعية حمل لواءها الشيخ محمد عبده . وما لبثت

أن مجاوبت عناصر الأمة مع هذه النهضة الفكرية حتى الحديو أراد  
الاستفادة من هذه الحركة لمحاربة التدخل الأجنبي الذي أبطل حقوق  
الحاكم والمحكوم على السواء . . . وماير الحديو اسماعيل رغبة الشعب  
لاسترداد مكانته ونفوذه وسلطانه . فأثار عليه الأجانب وعزل من  
الولاية ! . . .



الشجرة





## توفيق



الحديوي توفيق  
« ورت العرش والثورة »

ورت توفيق عن اسماعيل  
العرش والثورة معاً ، فقد تجمعت  
عوامل الثورة قبل عهده ثم  
سُبت أيام حكمه .

كانت الثورة انفجاراً صبيه  
ما كانت تعانيه البلاد من الحكم  
المطلق ، والضائقة المالية ، وتدخل  
الأجانب .

لقد ظل توفيق يذكر دائماً  
أن الأجانب هم الذين عزلوا أباه ،  
ولذلك غالى في استرضائهم ،  
وذهب يلغى الحكم الدستوري

في البلاد ، ويحارب دعاة الإصلاح بالتشريد ، ففي الشيخ الثائر « جمال  
الدين الأفغانى » .. وطبيعى أنه كان سيلقى مقاومة من الهيئات بسبب  
هذا السخط فى كل مكان ..

ولكنه كان فى الجيش على طراز آخر ؛ إذ كان الجيش هو الهيئة الوحيدة

التي لم يسيطر عليها النفوذ الأجنبي حتى ذلك الحين . . كان معظم أفراد هذا الجيش من الضباط والجنود المصريين الوطنيين الذين يجرى في عروقهم الدم المصري الأصيل ، والذين كانت تتحرق نفوسهم شوقاً للثورة على كل دخيل ، أجنبياً أوروبياً كان أو شركسياً ، يريدون إنهاء سيطرته حتى يعم خير البلاد بنيتها ، بعد أن حرّموا خيراتها زمناً طويلاً ...

وشعر هؤلاء الضباط والجنود بمثل ما أحست به طبقات هذا البلد من الحرمان ، وأحسوا الحقد الذي يحمله المستعمر لأبناء هذا الوطن . . فالرواتب ضئيلة والسلطة بالنسبة للضباط المصريين في جيشهم وممارسة حقوقهم تسكاد تكون معدومة . . والأجنبي يصول ويجول .. وحاكم البلاد يقذف بالوطن لقمة سائغة في أفواه الطامعين ، وكل هذا مهدد للمطالبة بالحق .. والسخط على الحاكم ! فسارت البلاد نحو الطريق الطبيعي للثورة : السخط فالتظاهر فالعصيان فالثورة فالحرب !

### مظاهرة قصر النيل

فلقد كان المتصرف في الجيش في ذاك الوقت ضابطاً شركسياً يتولى منصب وزير الحرية هو الفريق عثمان رفقي ( باشا ) . وكانت تصرفاته كافية وحدها لإشعال الثورة ، فلقد أذاق المصريين من كيد وظلمه بقدر ما أفاض على السراكسة من عطفه فذهب ينعم بالتزيينات ، ويولي الضباط السراكسة والأرناءوط والآتراك مناصب الجيش الممتازة في حين لا ينال الضباط المصريون الذين كان يسميهم فلاحين سوى العزل والإبعاد !

وجزى الله الشدائد كل خير فلقد ألف الظلم بين قلوب المصريين ، وجمع  
شتاتهم تحت راية ضابط توافرت لديه صفات الزعامة لما كان يتمتع به من  
شخصية قوية ، أجمعت النفوس على محبته والانضواء تحت لوائه حيث  
كان أشدهم سخطاً على الظلم والطغيان .



وكان هذا الضابط هو  
الأميرالاي أحمد عرابي قائد  
آلاي العباسية .

ولم تطق نفوس الضباط  
صبراً عندما هم الوزير التركي  
بعزل القائمقام أحمد عبد الغفار  
قائد السوارى ليعين قائد أشركسياً  
في مكانه ، وتنزيل الأميرالاي  
عبد العال حلمي قائد آلاي طرة  
ليكون معاوناً بديوان الجهادية

أحمد عرابي  
« أجمع الضباط على زمامته »

وإحلال ضابط آخر يجرى في عروقه الدم التركي . . وعلق عرابي على  
هذه القرارات لزملائه بقوله :

« إن هذه لقمة صلبة لا يقوى عثمان رفقى على هضمها ! »

وحين سمع الضباط بهذه الأوامر علاوة على إيصاء باب الترقى في  
وجوههم تجمعوا في منزل عرابي . . وفي موجة حماسهم أخرجوا

المضاحف واستلوا السيوف . . وأقسموا عليها أن يعارضوا هذه القرارات  
وأنهم يقدونه ويفدون الوطن بأرواحهم .

قدم عرابي وصاحبه الأميرالاي على فهمي قائد الحرس الحديوي  
والأميرالاي عبد العال حلمي قائد طرة مذكرة لرئيس الوزراء رياض  
( باشا ) يطلبون فيها عزل عثمان رفيق وزير الحرية وإسناد منصبه إلى  
وزير وطني . . فوعدهم رياض باشا بالنظر ومتظاهرا بعدم السخط أو الغضب  
ولما مضى أسبوع ولم يتم شيء أعاد ثلاثتهم عرض المذكرة على رياض في  
داره فتوعدهم مهدداً . . ولكنهم لم يتراجعوا لإيمانهم بأن مطلبهم حق  
وعدل .



اللواء عبد العال حلمي

« من قائد لواء طره إلى معاون الجهادية »

لم تسلك الحكومة الطريق  
السليم ، فلم تنظر الشكوى  
وتحقق فيها بالعدل ، فتتصر  
المظلوم وترد لأبناء مصر كرامتهم . .  
بل إنها لم تحافظ على هيبتها وكرامتها  
حكومة ذات قوة وسلطان ،  
فعمدت إلى انتهاج أسلوب ملتو  
لا يحمل رجال مسئولين أن  
يسلكوه ، فقد قرر مجلس  
الوزراء محاكمة الضباط  
الذين قدموا المذكرة على

أن يعهد إلى وزير الحرية عثمان رفيق بتنفيذ هذا القرار الذى اتخذ بصفة سرية .

لم يتبع عثمان رفيق الأصول العسكرية نحو إعلان الضباط الثلاثة بقرار المحاكمة كما ينص القانون ، بل تظاهر بدعوتهم إلى ديوان الوزارة كي يبحثوا معه في ترتيب إجراءات الاحتفال بزفاف شقيقة الحديو . . ولما كانت العادة عدم استدعاء قواد الآلايات للاجتماع بالوزير في مثل هذه المناسبات فقد قابلوا الأمر بالريبة إلا أنهم اتفقوا مع باقي الضباط على أنه إذا ما تأخر بقاؤهم في الديوان فستكون هناك مؤامرة قد دبرت ضدهم ، ويستأنز ذلك العمل على خلاصهم .

وما كاد ثلاثتهم يدخلون ديوان الوزارة حتى وجدوا أنفسهم بين صفوف  
مسلحة من ضباط وجند الشرا كسة تقبض عليهم وتزع سيوفهم ، وتجردهم  
من علامات رتبهم في مهانة وذلة ، وتسمعهم سيلا من عبارات القذف  
والسب .

وفي الحال التأم المجلس العسكري ، بحضور كبار الضباط ووزير  
الحزبية وبدىء فى تلاوة الادعاءات الخاصة بمحاكمتهم وكانت الساعة  
حوالى الواحدة ظهراً ..

وهنا أحس الضباط تأخر عرابي وزميليه وانكشفت المؤامرة عندما أبلغهم بعض ضباط حرس الخديو موضوع المحاكمة والقبض على زعمائهم .

وأقسم الضباط على المصحف والسيف أن يفتنوا في مبيع الله والوطن ،



محمد عبيد  
البحر أسوار تكبات قصر النيل . ودك الحصار .  
ولولاه ما استمرت الثورة

فهاجوا جميعا ، ونهض البكباشى محمد عبيد — بطل معركة التل الكبير  
فما بعد وأحد أبطال هذه الثورة — يجمع الجند استعداداً للسير ، وحين  
أراد قائده خورشيد بك الاستفهام عن سبب تحرك الجنود أمر بالقبض  
عليه .. وسار الآلاى بقيادته إلى قصر النيل ، وبينما كان الآلاى فى طريقه  
رأى الحديو الجنود وهم يتحركون .. فأحس أن البناء يتداعى ، فبعث  
إليهم كبير ياورانه الفريق راشد حسنى « المعروف بأبى شنب فضة »  
ليعدلوا عن قصدهم .. ولكن لم تجد نصيحته نفعا !

وصل الآلاى قصر النيل وأحكم البكباشى عبيد حصاره ثم أمر  
سريتين بالاستعداد وتركيب السناكى واقتحام أسوار الشكنات .. وما  
هى إلا لحظات قصيرة حتى ألغى الشراكة أنفسهم محاصرين بالضباط  
والجنود والفلاحين فتولاهم الرعب وبادر عثمان رفقى بالفرار فى حالة مخزية  
من إحدى النوافذ الخلفية .. وأخذ الضباط والجنود المصريون يبحثون  
عن زعمائهم المعتقلين حتى ألقاهم البكباشى محمد عبيد فى إحدى الزنانات  
ففك قيودهم بين فرحة الضباط وابتهاج الجنود .

وخرج الزعماء الثلاثة منتصرين على رأس آلاياتهم متجهين إلى  
عابدين ، . ولم يكده يصل آلاى طرة نبأ اعتقال قائده عبد العال حلمى  
حتى قام البكباشى خضر أحد ضباط هذا الآلاى بحجز قائد الآلاى  
الجديد ومعه كبار الضباط فى إحدى غرف القشلاق وتحرك بالجنود لنجدة  
الزعماء من براثن الشراكة .. وما كاد العساكر يركبون القطار حتى

اتصل معاون محطة طرة رأساً بالخدّيو يطلعه على تمرد الجنود وتحركهم إلى قصر النيل . . ولكن كان هذا النبأ قد وصل بعد الإفراج عن الزعماء فأرسل الخديو إلى البكباشى خضر ياوره ينصحه بالرجوع بالجنود إلى الثكنات حيث قد صدر العفو عن الزعماء وإطلاق سراحهم . . فلم يلق البكباشى خضر له بالا واستمر في طريقه محذرا ضباطه وجنوده من مكاييد السراى ؛ فربما يكون في الأمر خدعة ، مؤكداً أنه لا بد أن يصل الآلاى إلى قصر النيل حتى يستوثق الجيش من سلامة زعمائه .

وصل الآلاى إلى عابدين فاستقبله الآلاى الأول بالتحية العسكرية وعزف الموسيقى . . واحتشدت الجماهير تشاهد هذا المنظر غير المألوف .

.. كل هذا والخديو يراقب احتشاد الجنود بين تحية الجماهير فأدرك خطورة الموقف واستدعى وزراءه ومستشاريه وتشاور في الأمر ، فأشار سامى البارودى باشا وكان وزيراً للأوقاف باجابه طلبات الجنود في لباقة .  
« إنهم يهتفون للخديو . . إنهم مثال الطاعة . . فما الضر من تحقيق مطالبهم العادلة ؟ »

أخنى الخديو رأسه ونزل عن كبريائه وأذعن للأمر الواقع وأعاد الزعماء الثلاثة إلى مناصبهم وعين « محمود سامى البارودى » وزير الأوقاف وزيراً للحرية .

انتصر الفلاح ، والتف حوله الفلاحون ورأوا فيه الفلاح الذى استطاع أن يهزم السرا كسة ويتحدى الخديو ويثور ضد الظلم والطغيان .

ولم يكن هذا شيئاً مألوفاً في مصر فإن مافعله عرابى في ذلك اليوم كان



كافيا ليجعله رجلا مرموقا تتجه إليه أنظار العسكريين والمدنيين على السواء .  
إذ كان اقتحام قصر النيل لفك الزعماء الوثبة الأولى على قصر عابدين لانتزاع  
الدستور .

وبهذه المظاهرة دخلت الثورة العرابية مرحلتها الأولى .

### وثبة الجيش على عابدين :

وكدأب المستبدين حتى رياض رئيس الوزراء هامته وكانت هذه أول  
مرة ينحني فيها رياض أمام رغبة فئة من المصريين . . بل أكثر من ذلك أخذ  
يخطب ود الضباط ابتهاجا بتلبية مطالبهم . . إلا أنه ظل يتربص كالثعلب وفي  
أحدى الأزمات استقال البارودي وخلفه داود يكن ( باشا ) ابن عم الخديو  
وهمت الوزارة ثانية تريد البطش برجال الجيش حيث أصدر وزير الحرية  
الجديد منشورا به فيه على جميع الضباط بعدم ترك مراكز آلاياتهم ليلا  
أونهارا إلا طبقا للأوامر كما أنذر بأنه إذا اجتمع ضابطان أو أكثر فيصير  
القبض عليهم رجال الضبطية .

أدرك الضباط ما يراد بهم فنظموا صفوفهم . . ولما لمسوا دقة مركز  
الحكومة وما يحاط بها من دسائس ، ومن تسرب النفوذ الأجنبي في  
مرافق الدولة ، ومن كره الشعب لها بيتوا النية على قلب نظام الحكم  
الشركسي وتوطيد حكومة دستورية في البلاد على أن يكون ذلك في مظاهرة  
وطنية شاملة . . كما رأوا أنه لضمان نجاحهم لا يكفي الاعتماد فقط على رجال  
الجيش وحدهم تقاموا بالاتصال برجال الحزب الوطني الحر الذين ضاقوا  
باضطهاد الحكام ، وبالأعيان الذين أغفل وجودهم ، وبالعلماء الذين أضحوا

لا رأى لهم ، ولما استوثقوا من تأييد شريف والبارودى وسليطان وقد حصل لهم على توكيل أمضاه النواب ووجوه الأقاليم سرا رأوا أن هذه اللحظة هي المناسبة لتنفيذ خططهم ولا سيما بعد اختفاء أية بارقة أمل في اصلاح الموقف بعد إقالة القنصل الفرنسى دى رنج « الذى كان يرى تنفيذ مطالب الضباط باستقالة وزارة رياض ليحل محلها وزراء مصريون لم يرتكبوا الأخطاء التى تؤدى إلى الثورة العسكرية .. ولكن الحكومة وقد لاحظت تأييد « دى رنج » للشعب المصرى تخلصت منه مما سبب سخط الرأى العام الفرنسى فى مصر وخاصة بعد بقاء المراقب الفرنسى « ديلينير » صنيعة



اللواء على فهمى  
« السياسة خدعة »

اللورد « بينكفيلد » وصاحب اقتراح تحويل السكك الحديدية المصرية والملاحة فى النيل إلى شركة انجليزية .

حدد عرابى يوم ٩ من سبتمبر سنة ١٨٨١ لتحرك الجيش إلى عابدين حيث خاطب جميع الآلايات التى بالعاصمة لموافاته بميدان عابدين فى الساعة الرابعة لعرض طلباتهم على الخديو

احتشد الجيش فى الموعد المضروب وكان أول من حضر آلاى الفرسان بقيادة الأميرالاي أحمد عبد الغفار ، فقد كان فى بدء الحركة

أشد الناقمين على الحكم الشركسى حيث عزله عثمان رفقى ( باشا ) من منصبه بدون سبب .. ثم آلاى العباسية بقيادة عرابى يصبحه آلاى المدفعية وكانت بطاريات المدافع تتخلل أورط المشاة .

مار كل شىء طبقا لما أعده عرابى إلا أنه لاحظ خلو الميدان من الأميرالاي على بك فهمى الديب أحد الزعماء الثلاثة . . وبالسؤال عنه أخبره بعض الضباط بأنه وزع آلاى الحرس — وقد كان قائدا له — داخل السراى وبأنه مون هذا الآلاى بكية وافرة من الذخيرة للدفاع عن الحديو إذا دعت الحاجة فبعث عرابى إليه أحد الضباط .. ولما حضر ماله عرابى عن سبب تقض اتفاقهم وتوزيعه الجنود على منافذ السراى من الداخل ، فطمأنه على فهمى قائلا له : « إن السيامة خداع ! »

وعلى الفور أمره عرابى بسحب الآلاى ليأخذ مكانه فى الميدان كبقية وحدات الجيش . فخرج آلاى الحرس واصطف فى المكان المعين له . . ثم حضر آلاى قصر النيل بقيادة بعض ضباطه حيث امتنع قائده وكبار ضباطه من الخروج . . وأخيرا قدم الآلاى السودانى من طرة بقيادة عبد العال حامى وبذلك اكتمل الجيش فى عابدين . . وبلغ عدد الجنود أربعة آلاف بأسلحتهم ومدافعهم وخيلهم . . وغصت أطراف الميدان بالجموع الحاشدة تشاهد هذا الموقف الرهيب ؟

وفى الوقت الذى كان يتجمع فيه الجيش كان الوزراء والمستشارون والمراقبون الأجانب يتواجدون على السراى . .

وأخيراً خرج الحديو إلى الجيش ظنا منه أنه ينزوله إلى الميدان

يستطيع — بما له من الهيبة التقليدية — صد الضباط والجنود عن التمرد ،  
فزل من السراى يحف به المستر « كوكسن » القنصل الانجليزى فى  
الاسكندرية حيث كان القنصل العام المستر « مالت » متغياً فى بلاده والسير  
أوكلن كافن المراقب المالى ، وبعض ضباط الياوران . . وما أن وقع  
نظره على عرابى حتى ناداه . . فتوجه إليه عرابى راكبا جواده شاهراً  
سيفه وخلفه ثلاثون ضابطاً شاهرين سيوفهم كحرس له . . فلما دنا من الخديو  
مادره قائل :

« رجل يا عرابى . . وأغمد سيفك ! »

فامتثل عرابى . . ثم صاح الخديو بالضباط الذين جاءوا خلف عرابى  
« أغمدوا سيوفكم . . وعردوا إلى أما كنكم » .

« فلم يفعلوا وظلوا ثابتين »

ثم التفت الخديو إلى عرابى الذى حياه التحية العسكرية فبادره قائلاً :

« ما أسباب حضورك بالجيش هنا ؟ »

فأجابه عرابى :

« جئت يا مولاي أعرض عليك طلبات الجيش والأمة وكلها طلبات  
هامة » .

الخديو :

« وما هذه الطلبات ؟ »

عرابى :

« إسقاط الوزارة المستبدة ، وتشكيل مجلس النواب ، وإبلاغ عدد الجيش إلى العدد المحدد له في القرارات » .

قال الخديو :

« كل هذه الطلبات لاحق لكم فيها — وأنا خديو البلد وأعمل زى ما أنا عاوز ! »

ويقال إن كلمة عبيد أتت على لسانه . . فاجاب عرابي :

« لقد خلقنا الله أحراراً . . ولم يخلقنا ترثا ولا عقاراً . فوالله الذى لا إله إلا هو لن نكون عبيداً بعد اليوم » .

فلما وصل الحوار إلى هذا الحد أشار المستر كوكسن على الخديو بالرجوع إلى السراى وأقبل معه كلفن المراقب المالى يخاطب عرابي بالنيابة عن الخديو :

إن طلب إسقاط الوزارة من حقوق الخديو . .

وطلب تشكيل مجلس النواب من حق الأمة لا من حقوق الجهادية ولا لزوم لطلب زيادة الجيش لأن المالية لا تساعد على ذلك .

عرابي :

أعلم يا حضرة القنصل أن طلباتى المتعلقة بالأهالى لم أعمد إليها إلا لأنهم أقامونى نائباً عنهم فى تنفيذها بوساطة هؤلاء العساكر الذين هم عبارة عن إخوانهم وأولادهم فهم القوة المنفذة لإرادة الشعب ، وإننا لا نستطيع أن نزل عن طلباتنا . . ولن نبرح هذا المكان ما لم تنفذ !

القنصل :

وماذا تفعل إن لم يجب مطالبكم ؟

عراي :

أقولها كلمة أخرى .

القنصل :

وما الكلمة ؟

عراي :

لن أقولها إلا عند اليأس والقنوط .

القنصل :

علمت من كلامك أنك ترغب في تنفيذ اقتراحك بالقوة . . وهذا أمر  
ينشأ عنه ضياع بلادكم .

عراي : كيف يكون ذلك ؟

ومن ذا الذي يعارضنا في إصلاح داخلتنا ؟ اعلم أننا سنقاوم من  
يتصدى لمعارضتنا أشد المقاومة إلى أن نفنى عن آخرنا .

القنصل : وأين قوتكم التي ستدافعون بها ؟

عراي : عند الاقتضاء يمكن حشد مليون من العساكر يدافعون عن  
بلادهم ويلبون إشارتي

وهنا انقطع الحوار

٤. ولم تمض ساعتان والجيش واقف في مكانه لا يريد أن يتحرك حتى تنفذ مطالبه . فاضطر الخديو في نهاية الامر — إذ لم يكن له سند أو قوة يستطيع أن يعارض بها مطالب الجيش ، ورغبات الشعب كما وجدها فرصة للتخاص من رياض لاستئثاره دونه بشئون الحكم — اضطر إلى أن يوافق على قبول هذه المطالب تدريجياً بإعفاء رياض من الوزارة وإسنادها إلى شريف ، ووعد بإجابة الطلبين الآخرين .

وهكذا كان يوم وثبة الجيش على عابدين — يوماً مجيداً في تاريخ مصر حيث أحنى الخديو رأسه لمطالب الأمة العادلة .

### مذكرة ٨ من يناير سنة ١٨٨٢ .

غير أن الانتصار الشعبي والنهضة الدستورية التي عمت البلاد لم ترق في نظر الأجنبي الذي أظهر تبرمه أكثر من مرة من النظام الدستوري فظل يتربص حتى انتهز فرصة معارضة الهيئات الشعبية فأرسلت إنجلترا وفرنسا مذكرة مشتركة في ٨ من يناير سنة ١٨٨٢ جاء فيها :

« إن الحكومتين متفقتان كل الاتفاق على ضرورة منع أسباب الارتباك الداخلية أو خارجية ويكون من شأنها تهديد النظام القائم في مصر ولا شك أن إعلان هذا التصريح الرسمي سيمنع حدوث ما عسى أن يطرأ من الأخطار التي قد تتعرض لها حكومة الخديو »  
وكانت هذه المذكرة أول مظاهر التستر وراء حماية الخديو لتحقيق أغراض إنجليترا في احتلال مصر .

كما أنها كانت أيضاً أول مظاهر التجمع بين الدولتين المتنافستين  
المجترا وفرنسا . ويبدو أنه لما أحس المستعمرون بتكاتف الوطنيين حول  
مطالبهم ألف ذلك بينهم . . وجمع شتاتهم !

### استقالة شريف :

نزع هذا التدخل القناع عن وجهه فبعد أن كان خفياً مستتراً أضحى  
جلياً صافراً حيث تقدم قنصلا الدولتين بمذكرة في ٢٦ من يناير سنة ١٨٨٢  
بإيعاز من الراقبين الأجبيين ألا يحول مجلس النواب حق تقرير الميزانية .



حقيقة ان هذا تحد بالغ لكرامة  
البلاد . . ولكن ( شريف ) فكر  
بعقولة الرجل السياسي ورجل الدولة  
ورأى تفاديا من التدخل المسلح —  
حيث بات واضحاً أن البلاد أصبحت هدفاً  
للاحتلال العسكري — أن يرجى  
النواب البت في هذا الأمر حتى تمر  
الأزمة بسلام ، ولكن غلب الرأي  
القائل بضرورة تقرير نظر الميزانية في  
الحال .

محمد شريف باشا  
« الربان . . الذي تسفند به  
الثورة أثناء العاصفة ! »

كما وجدها الحزب العسكري فرصة للتخلص من شريف ، وبهذا فقدت



الثورة باستقالته روح الاعتدال وأصبحت السيطرة للحزب العسكرى  
بامناد الوزارة إلى البارودى .

وهكذا دخلت الثورة مرحلتها الثانية .

محاكمة الضباط السراكسة .

وظلت عين المستعمر ترتبص وتدبر كي تتحين الفرصة التى واتها بحلول  
أزمة سياسية خطيرة بين الحديو والوزارة إثر مؤامرة الضباط  
الجراسكة الذين اتهموا بمحاولة قتل عرابى فى ١٩/٤/١٨٨٢ وقد  
قضى المجلس العسكرى على أربعين منهم بالتجريد من رتبهم وبالنفي المؤبد  
إلى السودان .

فرأى الحديو تخفيف الحكم كما أشار ممثل انجلترا عليه بعرض الأمر  
على الباب العالى .

اشتد النزاع وتطور الموقف وزاد الموقف حرجا إعلان البارودى  
ضرورة انعقاد مجلس النواب للاحتكام إليه .

كان لهذا الإعلان خطوره ، إذ أن الدعوة إلى اجتماع مجلس النواب  
يجب أن تصدر عن الحديو .. وفى هذا الوقت وصل الوفد العثمانى الذى  
حضر للتوفيق بين الجانبين المتنازعين ، ولكن لم يكدهذا الوفد يطاء  
أرض مصر حتى كتب مستر « مالت » إلى دولته انه لابد من حدوث  
اضطرابات قبل تسوية المسألة المصرية .. وان الأصوب استعجال هذه  
الاضطرابات لاتأجيلها .. حتى يستساغ التدخل العسكرى !

ثارت انجلترا وامتثارت معها فرنسا .. واستغلت الشقاق بين الحديو

والوزارة قررت الدولتان إرسال أسطوليهما إلى مصر بحجة أن دعوة مجلس النواب بدون أمر الحديو والمجاهرة بخلعه عن العرش يعتبران عمليين ثوريين يستوجبان التدخل .. ١

وسوغت الدولتان هذا العمل البغيض بحمايتهما لرعاياهما الأجانب ووقايتهم من الأخطار التي يستهدفون لها ...

### الأساطيل .. ١

حضرت الأساطيل وتوالت الانذارات تطلب استقالة الوزارة واقضاء عرابي وتنحية بعض الضباط ، فقررت الوزارة رفض هذه المطالب ، إلا أن الحديو أعلن قبول مطالب الدولتين ، فاستقالت وزارة البارودي في ٢٦ من مايو سنة ١٨٨٢ محتجة على تدخل الأجانب ، ورضاء الحديو عن هذا التدخل ١

وهنا يحق للقلم أن يتوقف ليعترض على ما كتبه الأستاذ عبد الرحمن الراجحي في كتابه ( أحمد عرابي ) .

« . . ولو أن ( عرابي ) قبل هذه المقترحات : استقالة الوزارة ، وإقصاءه عن القطر ، وتنحية بعض الضباط . وغادر البلاد ، لكان ذلك تضحية منه في سبيل مفاداتها من التدخل المسلح ! » .

فهل نسي أستاذنا الكبير أن هذا التدخل المسلح كان ميقع حتما ، حتى لو لم تقع مذبحه الاسكندرية ، أو بعبارة أخرى مشاجرة الحمار والمالطي .

ان الحوادث كانت تجرى فى طريقها المرسوم . . .

والمؤامرة كانت محتمة الوقوع فى إثر أى حادث أو عقب أى إنذار .  
حتى لو لم تقع مذبحة أو مشاجرة ، فالمستعمر كان يحفظ فى جعبته الكثير  
وكان يسنده فى مواقفه ، ويمهد له الطريق الجالس على العرش «توفيق»  
وما لبث أن تفاقمت الحال فقد هدد الجيش والبوليس معاً بأنه إذا لم  
يعد عرابى وزيراً للحرية فى خلال ١٢ ساعة فإنهم يصبحون غير مسئولين  
عما يحدث .

وعلى هذا أرغم الحديو على إعادة عرابى وزيراً للحرية فى ٢٧ من  
مايو سنة ١٨٨٢ وبقيت جميع الوزارات الأخرى شاغرة وظلت البلاد  
بلا وزارة مسئولة فترة من الوقت .

أخذ عرابى على عاتقه تحمل مسئولية الأمن فى البلاد ، وفى الوقت  
ذاته أخذ العدو يدبر المؤامرات والخطط ، فرض قناصل الدولتين رعاياهم  
على النزوح من القاهرة والأقاليم إلى الإسكندرية ؛ ليكونوا تحت رعاية  
الأساطيل حتى غصت الإسكندرية بالأجانب . . وكان احتشادهم هذا من  
الأسباب التى أدت إلى توتر الحال ، كما أشاع سماسرة الدولتين احتمال  
وقوع القتال بين الوطنيين والأجانب .

وافترض المستور ، وانكشفت المؤامرة التى أخذت تعدو سريعا إلى  
غايتها المرسومة من قديم ، وكانت هناك حاجة إلى علة فوجدت العلة العاجلة  
فى حينها ، وحدثت مذبحة يونيو فى اليوم الحادى عشر فى الإسكندرية . .  
وهكذا لجأت بريطانيا إلى حجة تنذر بها لإرتكاب الجريمة . . .

والحادثة في ذاتها من النوع الذي يحدث عادة في الموانئ حيث تكثر الطبقات والأجناس : فقد حدثت مشاجرة بعد ظهر يوم الأحد ١١ من هذا الشهر بين أحد المالطين من رعايا إنجلترا وحمار مصري يدعى السيد العجان حول أجر حماره ، فاستل المالطي سكينا طعن بها المصري فمات على أثرها . فاجتمع رعاك الأروام والمالطين والقبرصيين وهم مسلحون بالبنادق والخنجر . . وأخذوا يهاجمون الوطنيين الذين كانوا يستطلعون الأمر ، فسقط الكثير من المصريين بين قتلى وجرحى . . وثار جمع من الوطنيين تحمل الهراوات وتطلب الانتقام فقتلوا ٤٥ أجنبيا ، وقتل من المصريين أكثر من هذا العدد بكثير ..

وامتدات الفتنة حتى الساعة السابعة مساء إلى أن حضر الجنود ومنعوا التجمهر ، وهدأت الحال

ولقد كان هذا الحادث نذيرا لما ستمخض عنه الأيام ، ودافعا إلى هجرة الأجانب ، واسراع الحديو بالسفر في اليوم التالي إلى الإسكندرية .

وبهم العراقيون المحافظ ( عمر لطفي باشا ) بتدير الحادث ، ويدلون على صحة ذلك بمكانة عمر لطفي عقب تديره ( الحادث ) بتعيينه ناظرا للجهادة بعد عزل عرابي من وزارة اسماعيل راغب ( باشا ) .

ويؤكد الشيخ محمد عبده صحة هذا الرأي بقوله في تقرير له كتبه في منفاه بسورية :

« حقا إن أكثر من اتهموا ، ومن قبض عليهم بعد الحادث يوم واحد ، كانوا يصيحون بقولهم : لالوم علينا فإن سعادة المحافظ هو الذي كان يأمرنا بأن نضرب وأن نسرق ! » .

ومن هذا يتضح أنه لا يمكن أن يرقى الشك إلى اتهام عرابي بتدبير حوادث ١١ من يونيو كما يزعم خصومه ؛ لأن هذا الأمر مهما كانت نتائجه لن تكون في مصلحته .

هذا هو المرجح ، أما الأمر الذي لا جدال فيه ، فهو أن الإنجليز لم يكونوا بمعزل عن هذا الحادث . . فالذي أشعل الفتنة مالطي من رعايا بريطانيا ، وقد اتضح من التحقيق أنه أخ لخدم القنصل البريطاني مستر كوكسن والذي كان له اليد الطولى في تحريض الأجانب للتحرش بالوطنيين وسعيه الدائب في تسليحهم .

ويتبين ذلك مما جاء في كتابه إلى حكومته :

« إن قنصل السويد العام وصل اليوم إلى الاسكندرية وعرض على مشروعا للدفاع عن الأوربيين ، ورغب في موافقة ممثلي الدول عليه . . وقد أجمع الممثلون على أن تسليح ثلاثة أو أربعة آلاف تمهيداً لهذا الدفاع عمل بالغ الخطورة . . وأنه بجانب ذلك عمل يفضى إلى التصادم في أى وقت ، وعلى ذلك اتصل ممثلو الدول بدولهم كي لا يشاركوا في شيء من هذا ! »

كذلك كان لزميله المستر « مالت » القنصل الانجليزي في القاهرة ضلع في هذه المؤامرة . . وليس أدل على ذلك مما جاء في كتاب كرومر « مصر الحديثة » في برقيته التي أرسلها إلى وزارة الخارجية البريطانية ، يقول فيها :

« إنه قد يقع في أى وقت بين الأوربيين المسلمين صدام مسلح . . وإن التدخل العسكرى ضرورة لا مفر منها » .

ومن هنا يتضح بل ويظهر جليا أن المسؤولية كلها تقع على عاتق السيادة  
البريطانية الاستعمارية التي أمرت بإحضار الأساطيل ، فكانت سببا  
في إثارة النفوس وهياج الخواطر ، وأوغرت صدور المصريين على  
الأوربيين ، وأغرت الأوربيين بالاعتداء على المصريين ا

هذه الأساطيل التي كان الاستعماريون يزعمون أنها للحماية ، في حين  
اشتم الوطنيون منها رائحة الإذلال حتى كانت الفتنة ووقعت المأساة ، وكانت  
قنابل الأسطول بداية الاحتلال ا

## جناية جلادستون

## علي استقلال مصر

وقبل أن نتكلم عن بدء عمليات الحملة الانجليزية ، نرى لزاما علينا أن نوضح موقف الحكومة البريطانية من هذه الحملة وموقف حزب الأحرار الذى كان يتولى الحكم فى بريطانيا فى ذلك الوقت .

والمتبع لكل مجريات الجوادث قبل الثورة العراية ومراحل هذه الثورة وأسبابها لا يجد أية مشقة في توجيه إصبع الاتهام إلى السياسة الاستعمارية . . والتي كانت تمثلها كل من بريطانيا وفرنسا . . وينفذها قناصل هاتين الدولتين والمراقبون الماليون ، بل لعل السياسة البريطانية كانت حرية بأن يوجه إليها اللوم أكثر مما يوجه إلى السياسة الفرنسية لتحلل هذه السياسة من جريمة الاعتداء السافر ، وإظهار المندوبين الفرنسيين في بعض الأحيان عطفهم على الضباط المصريين ، ومطالبتهم بتحقيق مطالبهم العادلة . .

يؤكد هذا تتابع الحوادث ، وإن كان الأمر لا يخلو من تناقض السياسة الفرنسية وتخطيطها في بعض الأحيان ، ومن محاولة جلادستون رئيس الحكومة البريطانية تجنب استخدام العنف في المسألة المصرية أو خلق

الاضطرابات في وادي النيل . . وإن كانت النتيجة في النهاية قد اضطرت جلادمستون أن يصدر الأمر بضرب الاسكندرية ، ثم يعيد المأساة بإصدار الأمر إلى الحملة الانجليزية للقضاء على الثوار .

ولكن إنصافا للتاريخ نستطيع أن نقول إن الرجل كان لا يريد أن يكون هذا أسلوبه — مما سنشرحه فيما بعد — غير أن الدبلوماسية البريطانية في هذه الحقبة من الزمن كانت ضالعة في الأسلوب الاستعماري وكانت قد تشربت بروح التقاليديين أنصار « الأميريالزم » ( الاستعمار والتوسع ) حتى أن بعض أعضاء حكومته من حزب الأحرار كان قد جرت في عروقهم دماء مالسبورى. ووزرائلى الذين كانا قد صاغا بسياستهما الخاصة إزاء المسألة المصرية سلسلة محكمة الحلقات بحيث غدا من الصعب على جلادمستون بوصفه خليفتهما في الحكم تحطيم هذه السلسلة والخروج من نطاقها الفولاذى .

فعندما تولى جلادمستون الحكم كانت في رأسه فكرة ثابتة هي : القضاء على الخطوط الرئيسية لتلك « السياسة الخارجية » الدولى التى اتبعها غلاة حزب المحافظين كمالسبورى ووزرائلى والتى كانت تعتمد على التلون والانتهازية ، لأن الرجل كان يؤمن بأن هذه السياسة ستقضى على سمعة بريطانيا في العالم كله .

وكانت أمم الشرق في تلك الفترة الحافلة بتياراتها تموج بأفكار تحررية جديدة ، وتبرز في محيطها ثورات وطنية تطالب بالاصلاح والدماساير ، وقد أثر عن جلادمستون تأييده البالغ لقضايا الحرية في هذه الأمم المكافئة



حتى لقد خطب مرة في حفل سياسي كبير . . وكانت الأنباء تتوالى  
باضطراب الأحوال الداخلية في أفغانستان ( وكانت بعض صحف المحافظين  
تغري الحكومة بالتدخل العسكرى . . ) قتل :

« إن المساواة في الحقوق بين شعوب العالم كبيرها وصغيرها أمر  
يقتضيه الواجب الأخلاقي ، وتتمسك به كل تقاليد الشرف ، ولذا كرر  
جميعا أن قدسية الحياة الانسانية ذاتها — حتى في أكواخ القرى  
الأفغانية المنتشرة وسط الجبال الثلوجة القحلاء في صميم هذا الشتاء ، إنما  
هى من الحرية والقدسية في نظر الاله الرحيم بالقدر الذى يساوبها بحياتنا  
نحن البريطانيين في قرى جزيرتنا المتحضرة ! »

وهكذا ما أن تسنح له فرصة لحديث أو لخطابة حتى ينهال على  
مبادئ المحافظين وأساليبهم السياسية . . وخاصة مبادئهم في معاملة  
الشعوب بالامتنكار والتجريح .

. . ومع ذلك ، وبالرغم من كل هذه الجهود مجتمة . . وبالرغم من  
كل هذه الكلمات التى لا ترتاب عند سماعها أو قراءتها أنها صادقة . .  
وبالرغم من هذه النية التى بان « صدقها » فى أكثر من تصرف ، وأكثر  
من مناسبة — كانت هناك ناحية معينة من نواحي العالم ينجم عليها ظل  
« دزرائيلى » الكثيف ، ويرتسم فى عمق طابعه الاستعماري العنيف . .  
إنها مصر . .

مصر التى تفتحت عليها أعين السياسة البريطانية أكثر من ذى قبل .

منذ أن ضرب دزرائيلي ضربته السياسية البارة بسرعة شرائه أسهم الحكومة المصرية في قناة السويس من الحديو المفلس إسماعيل .

كان دزرائيلي زعيم المحافظين يحلم بخياله الاستعماري أن تتم سيطرة إنجلترا في يوم قريب على قناة السويس لاسيما في ضمان المواصلات إلى الهند فحسب ، بل لأنها ستكون أيضاً ميلا إلى الاستيلاء على مصر ذاتها . . . وعلى إمبراطورية إفريقية مترامية الأطراف . . . تومع سلطان التاج البريطاني وتمد في رواقه . .

وبالفعل لم يمض على ذلك طويل وقت حتى كان أربعة أخماس المراكب المارة في القناة تابعة لشركات إنجليزية .

وعند ما تولى جلادستون الحكم بعد دزرائيلي لم يشاركه في كل أخلامه ، بل الواقع أن حكومة إنجلترا في ذلك الوقت لم تطلب أكثر مما كانت تأمله . . . وهو أن تطمئن على سلامة القناة كطريق ملاحى أصبح له خطره وشأنه في مواصلاتها الإمبراطورية — وهو أمر يتطلب ( في رأى جلادستون ) وجوب العمل على استقرار الأحوال المالية والسياسية في مصر ، بأقل حد ممكن من التدخل الأوروبي .

غير أنه ظهر عامل جديد على مسرح السياسة العالمية والمسألة المصرية :

فبينما كان جو مصر يغلي بالأحداث منذ منتصف سنة ١٨٨١ تيسر لفرنسا الاستيلاء على تونس في مايو سنة ١٨٨١ ، وعادتها أحلام التوسع الإمبراطورى الفرنسى في قارة ( الفرس والأحلام ) . وأخذت فرنسا

تبرق وترعد وتفكر في اتخاذ خطة حاسمة تلزم المصريين حدودهم . .  
وبتولى « جامبتا » رئاسة الوزارة الفرنسية بدأت العلاقات الفرنسية  
المصرية تدخل مرحلة حرجية ، فقد كان « جامبتا » من دعاة سياسة القوة  
التي هي مذهب الحزب الراديكالي الذي يرأسه .

ومع أن التحالف بين إنجلترا وفرنسا كان يبدو على أقوى ما يكون ،  
إزاء المشكلات الشرقية وبصفة خاصة مشكلة مصر ، كان جلاد مستون يرى  
أن حماية هذا الطريق للملاحة لا يتحقق بالتدخل الإنجليزي الفرنسي الذي  
كان « جامبتا » يدعو إليه جهارا نهارا ، بل يكفي تحقيقه تعزيز الأسطول  
البريطاني والحاميات الإنجليزية في كل من جبل طارق وجزيرة مالطة . .  
هذا من ناحية .

ومن ناحية أخرى كان جلاد مستون يرى وجوب تشجيع حكومة مؤلفة  
من العناصر التركية والشركسية والوطنية في مصر للسيطرة على الموقف  
وصحمان كسب تعاونها مع كل من فرنسا وإنجلترا .

وهنا اصطدم جلاد مستون بحقيقتين كبيرتين :

أولا هما — أن فرنسا كانت تمقت بتعصب تغلغل النفوذ التركي في شمالي  
إفريقية ، لأنها كانت ترمم سياسة استعمارية توسعية في المغرب ، ومن ثم  
فإنها تكره وتخشى أن تكون للامبراطورية العثمانية سيادة ميامية في أية  
بقعة من إفريقية بوجه عام .

والحقيقة الأخرى ظهور حزب من ( غلاة الأحرار المصريين ) هو

الحزب الوطنى الذى اعتنق مبدأ « مصر للمصريين » لا للأتراك ولا  
للشركس ولا للأوربيين أصحاب المصالح الضخمة فى مصر .  
وهكذا انقلب الوضع تدريجياً . .

ثم جاءت ظروف شغلت جلاد مستون عن تتبع تطورات مشكلة مصر  
بصورة مباشرة ، فقد نشبت الثورة البلغارية ضد الحكم التركى ، ثم الثورة  
الاييرلندية الأولى بقيادة بارتل ، ثم بعد هذا كله اعتبارات مالية وثيقة  
جعلته يتفرغ لشئون الخزانة . . مما حدا به أن يترك شئون السياسة الخارجية  
فيما يتعلق بمصر بالذات لوزير خارجيته « لورد جراتفيل » .

وهكذا انتقل الوضع من محور إلى محور ، ووجد جلاد مستون نفسه  
تدريجياً بعيداً عن هذه المشكلة .

وكان جامبتا يطمح إلى تحقيق مشروع الاحتلال الفرنسى الإنجليزى  
المشترك لمصر ، ولكن جراتفيل كان أكثر دهاء وأبعد غاية من كل من  
جامبتا وجلاد مستون ، فقد امتثل جراتفيل بسياسة خاصة نحو المسألة  
المصرية . . ومساعدته مقوطة وزارة جامبتا على السير فى تنفيذها طبق  
تصميماته ، إذ كانت الحكومة الفرنسية التى خلفت حكومة جامبتا متحفظة  
إزاء سياسة التدخل فى الشئون المصرية ، وترى أن يتم هذا التدخل —  
إذا كان ثمة ضرورة إليه — على قاعدة دولية عامة ، وبمعاونة الباب العالى .

وحين فرغ جلاد مستون قليلاً من مشكلاته . وتهيأ له أن يكرس وقتاً  
أكثر للمسألة المصرية ، حاول أن يقنع رجال وزارته بوجوب اشتراك  
مؤتمر أوربي عام فى حل المسألة المصرية وخاصة أن الوزارة الفرنسية

القائمة حين ذاك تشترك معه في هذا الرأي ، ولكن جراتقيل الداهية كان قد صار شوطا بعيدا في سياسته ووجد من أعوانه الانجليز في مصر وعلى رأسهم القناصل والمراقبون الماليون ماعاونه على امتلاك ناصية الموقف في الوزارة الإنجليزية حتى لقد اكتسب إلى صفه أغلبية الوزراء الانجليز الذين ذهبوا معه إلى أن اقتراح جلادمستون غير عملي .

وتعاقبت الأحداث في سرعة مذهلة على المسرح المصري إلى حد أن جلادمستون — وهو على رأس حكومة الأحرار وهو الذي ينادى بوجوب اتباع سياسة تنهض على أساس الاستجابة الرامية لإملاءات العدالة والشرف يجد نفسه يتفق مع لورد جراتقيل على إصدار الأوامر الصريحة للأميرال سيمور بضرب الإسكندرية . . . نعم يجد نفسه مرة أخرى « مضطراً » إلى أن يصدر هو وجراتقيل أيضاً أمراً إلى الجنرال ولسلي بضرب العراقيين في معركة حاسمة واحتلال مصر . . . وهكذا نفذ جلادمستون مارسه له خصمه دزرائيلي . .

واستباح جلادمستون خرق حرمة الشعوب وهو الذي كان ينادى بوجوب العطف وتأييد الحركات الوطنية ووثبات الشعوب .

. . . وهكذا تنكسر جلادمستون لمبادئ الأخلاق . . . والعدالة . . . والشرف وارتكب كل ما هو مناف لمبادئ الأخلاق . . . والعدالة . . . والشرف !

## ميثاق النزاهة

لم يعد سرّاً بل صار أمراً شائعاً بين الحكومات والساسة أن الانجليز يريدون السيطرة على مصر . . فرأت الدول وعلى رأسها فرنسا إحباط المحاولة البريطانية باتخاذ عمل حاسم لتسوية المسألة المصرية بالطريق الودى وعدم حايها بالضغط الأدبى أو بمجىء الأساطيل وقد بعث المسيو دى فرنسيه رئيس الوزارة الفرنسية إلى سفيره فى لندن لاقتناع الحكومة الانجليزية بهذا الرأى . . فوافقت واقترحت انعقاد المؤتمر بالقسطنطينية وأن يكون أعضاؤه سفراء الدول الست العظمى لدى الباب العالى الذى عارض الاشتراك فى هذا المؤتمر بحجة أن الحال لا تدعو لذلك . . وأن الوفد الذى سبق إرساله برياسة درويش ( باشا ) كاف لفض الخلاف .

. . وأخيراً عقد المؤتمر فى ٢٣ من يونيو سنة ١٨٨٢ بسفارة إيطاليا بحضور ممثلى ( بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا وإيطاليا والنمسا ) بدون اشتراك ممثل للسلطان . . . وقد اتخذ المؤتمر فى بدء اجتماعه إعلان الزبوتوكول الخاص به والمعروف « بميثاق النزاهة » بناء على اقتراح سفير إيطاليا وهذا نصه .

« تتعهد الحكومات الممثلة فى هذا المؤتمر بأنها فيما ستتخذ من قرارات بشأن المسألة المصرية لا تريد أن تأخذ لنفسها أو لرعاياها أى

امتياز إقليمي أو تجارى فى مصر يكون خاصا بها ولا يكون للدول الأخرى الحق فى الحصول عليه ا .

### الضرورة القصوى !

هذا هو العهد الذى ارتبطت به الدول ومن بينها انجلترا فى مؤتمر الأمستاتة ولكن انجلترا حين أبرمته كانت تنوى تقضه كما نقضت سائر عهودها فى المسألة المصرية فى الوقت الذى زعمت فيه الموافقة على هذا الميثاق كانت تستعد للحرب وتجهز جيشها لاحتلال مصر ا

فى اليوم التالى لانعقاد المؤتمر قرر المجتمعون عدم التدخل فى شئون مصر فى أثناء فترة انعقاد المؤتمر . . فعارض فى ذلك مندوب انجلترا وهو « اللورد دفرين » من أشهر سياسى هذا العصر الذى أشار إلى أن الفوضى قد تمكنت من مصر من جراء ثورة الجيش وأن هذه الفوضى قد أدت إلى ارتباك الادارة ، وشل حركة التجارة ، وفقدان الثقة ، والتوقف عن سداد الضرائب حتى عجزت الحكومة عن الوفاء بديونها حيال الأجانب ، وتعرضت حياة الأوربيين للخطر . . واقترح أن يضاف إلى العهد الأخير جملة « إلا للضرورة القصوى ا » .

.. وبإضافة هذه الجملة أصبح انعقاد المؤتمر عبثا فما أيسر أن تخلق انجلترا فى أية لحظة تلك الضرورة القصوى : والواقع أن انجلترا كانت قد وطلدت العزم على الانفراد بالعمل . . وفى ذلك يقول اللورد كرومر فى كتابه « مصر الحديثة » عندما جاء ذكر المؤتمر :

« ليس من الضرورى أن تقف طويلا عند إجراءات المؤتمر المملة . .

وقد كان اللورد « جرانفيل » واللورد « دوفرين » يفهمان تمام الفهم ماذا يريدان . . ولقد رغبا في أن يوطدا النظام في مصر وكانا يقظين إلى تلك الحقيقة التي مؤداها أنه بغير استخدام القوة المادية فلن يوطد ذلك النظام ! » .

وبذكر اللورد جرانفيل وزير الخارجية البريطانية لحكومة الاحرار في ذلك الوقت واللورد دوفرين سفير إنجلترا لدى الباب العالي يهمننا أن نقف قليلا عندهما فقد اتضح في الصفحات (السابقة) الدور الذي قاما به لتسوية الاحتلال العسكري وصراعهما مع رئيس الوزراء البريطاني غلادستون رئيس حزب الاحرار الذي أراد أن يخطط للسياسة البريطانية أسلوبا جديداً يبنى على قواعد الأخلاق والعدالة والشرف !

ولنعد إلى « ميثاق النزاهة » فقد انكشف المستور وأصبح واضحاً أن إنجلترا تريد أن تسوغ لنفسها التدخل في شئون مصر على أن يكون هذا التدخل حريياً بل أضاف اللورد دوفرين — تنفيذاً لستر أغراضه — أن إنجلترا لا ترى أن يكون قمع الثورة في مصر بوساطة إنجلترا بل ينبغي أن يقوم بهذا الواجب صاحب الشأن في ذلك وهو تركيا صاحبة الحق الشرعي .

قال ممثل إنجلترا هذا — وهو واثق في الوقت ذاته — من أن الحكومة التركية على ما هي عليه من التردد والضعف بحيث لا تقوم أو حتى تستطيع أن تفكر في أن تقدم على هذه المهمة كما هي عاجزة



عن مجرد إرسال تجريدة عسكرية لإقرار هيئة السلطان ولاحجام  
السلطان أيضا بطبيعة الحال عن أن يظهر أمام المصريين — وهو خليفة  
المسلمين — بنصرة الدول المسيحية عليهم !

.. وهنا نخلو الجو لأنجاترا وحدها في مصر لتتم بأساطيلها الرابضة في المياه  
المصرية خرق حرمة العهد والمواثيق !

## ضرب الإسكندرية

شرع الأدميرال بوشامب سيمور « أميرال الأسطول الإنجليزي في مياه الإسكندرية ينتحل العاذر إلى فتح باب الشر والغدوان كي يحقق مطامع دولته وتعجل بضرب المدينة قبل وصول الأميرال « دويل » قائد أسطول بحر المانش — وكان أرفع منصبا — حتى يثول إليه شرف الانتصار ! .



كانت الأسباب التي انتحلها سيمور كما جاء في برقيته المرسلة إلى حكومته :

« هي مشاهدة أحد الحصون تجري فيه بعض الترميمات . . . ومن أن هناك نية لردم البوغاز حتى يسد مدخل الميناء . . . »  
.. فوصل الرد من الأميرالية البريطانية ونصه :

الأميرال سيمور « تعجل الضرب . . . ليكون له شرف الانتصار »

« أوقف العمل فورا في

التحصينات — فإذا لم يوقف : فطم الطوابي وأمسكت البطاريات ! »

.. أوفد عرابي قائد البحرية المصرية إلى رئاسة الأسطول يكذب هذا الادعاء ، ويثبت حسن نية الجانب المصري ، وعدم وجود أية نية عدائية وشهد بذلك الأميرال « كونراد » قائد الأسطول الفرنسي بمياه الإسكندرية الذي أبلغ حكومته الأمر ، فقررت على لسان وزير خارجيتها : « إن تصرف الأميرال الإنجليزي بهذه الصورة يعد عملاً عدائياً هجومياً ضد مصر وإن البرلمان الفرنسي يعارض خرق مبدأ حرية الشعوب ، وإنه بناء على ذلك صدر الأمر إلى الأسطول الفرنسي بالانسحاب من المياه المصرية ، إذا ما كان هناك تصميم على إطلاق المدافع » .

.. وانسحب الأسطول الفرنسي من المياه المصرية — وبذلك خلا الجو للأسطول البريطاني وانطلقت يد الأميرال سيمور في العمل ... وكان ذلك أقصى ما تتمناه السياسة البريطانية في ذلك الوقت .

وفي يوم ٧ من يوليو أرسل « سيمور » إنذاراً آخر بإزالة المدافع من فوق الطوابق إذ وصل إلى علمه — على حد قوله : « أن هناك مدفعين على وشك التركيب على شاطئ البحر » .. فأكد له اللواء طلبة عصمت ( باشا ) قائد حامية الإسكندرية أن هذه الأخبار عارية من الصحة ..

.. فما الذي فعله ( سيمور ) إزاء كل هذه النيات الحسنة والتوكيدات القاطعة من جانب المصريين ؟ .. ؟

أرسل يستأذن الحكومة البريطانية في ضرب مدينة الإسكندرية عند شروق الشمس في الحادي عشر من شهر يوليو ... وأنه سيشرع في الضرب بعد ٢٤ ساعة من تسليم الإنذار إلى الحصون القائمة على البوغاز

إن لم تسلم أسلحتها ، على أن تقوم القوات المصرية بإخلاء مواقعها ! . . .  
كما عرض الأميرال ضيافة الخديو توفيق على ظهر سفينة حربية إنجليزية  
حتى لا يتعرض للخطر !

. . ولا شك أن الغرض من هذا كان محاولة إصباغ ( الشرعية )  
على هذا العمل العدواني بالحجج المفتعلة التي يتذرع بها المستعمر على الدوام . .  
واعتذر توفيق في بادئ الأمر . . إلا أنه — مما يؤسف له —  
عاد وقبل التعاون مع أعداء البلاد .

و بمجرد وصول الإنذار عقد اجتماع حضره كبراء البلاد وقادتها  
وشهده الخديو . .

وكان رأى البعض التسليم بلا قيد ولا شرط . . وما لبثوا آخر الأمر  
أن اتخذوا القرار التالى — وكان آية فى الحكمة والوطنية — رداً على  
الإنذار البريطانى :

( لم تفعل مصر شيئاً يقتضى إرسال هذه الأساطيل المتجمعة . . ولم تقم  
السلطة المدنية أو العسكرية المصرية بأى عمل يسوغ مطالب الأميرال سوى  
أنها قامت ببعض الترميمات الاضطرارية فى أبنية قديمة .

. . ونحن هنا فى بيتنا ووطننا !

— ومصر الحريصة على حقوقها وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى  
مدفع أو أية طاية دون أن تكرر على ذلك بحكم السلاح !

. . فهى لذلك تحتج على بلاغكم ، وتحملكم مسؤولية هجوم الأساطيل ،  
وإطلاق المدافع على بلد آبن نعم بالسلام .

وأیضا تقرر مصر من قبول باب المسألة قبول إنزال ثلاثة مدافع  
مختارها الأميرال ، ولن تجاوب للدفعیة المصریة علی مدافع الأسطول  
إلا بعد إطلاق الطلقة العاشرة . . )

وهنا ینتهی البیان .

غیر أن ( سیمور ) لم یبال حریة الشعوب ، وبدأ الضرب فی السابعة  
من صباح یوم ۱۱ یولیو .

مواقع الحصون من موقف الأسطول :

إن حصون الاسکندریة القائمة علی طول شاطئ البحر تنقسم ثلاث  
مناطق بالنسبة لتعرضها لضرب الأسطول :

۱ — المنطقة الأولى ، وهی شرقی المدينة . ولیس بها غیر حصن  
السلسلة وهذا الحصن لا نعه قد اشترك فی القتال .

۲ — المنطقة الثانية ، وهی التی شمالی المدينة وهی عبارة عن حصون  
قايتباى والهلالیة والأطه ، والاسبتالیة ، ورأس التین ، والفنار .

۳ — المنطقة الثالثة ، وهی التی غربی المدينة وكان بها حصون  
صالح أغا ، والبرج رقم ۱۵ ، وأم قتیبة ، والعجمی ، والمرباط .

أما الاسطول البریطانی فكان مؤلفا من ثمانی مدرعات کبیره ،  
وخمس سفن صغیره غیر مدرعة .

وقد كانت المدرعات تنقسم قسمین :

### الاسطول الخارجى :

وكان مؤلفا من المدرعات الخمس : ألكسندرا ، وائل كسيل ،  
وسلطان ، وسوبرت ، وتمير . ومهمته تتحصر فى الوقوف خارج الميناء  
فى عرض البحر ومهاجمة حصون المنطقة الثانية .

### والأسطول الداخلى :

وكان يتكون من ثلاث مدرعات : انكسيل ، ومونارك ، وبنلوب  
بقيادة ( سيمور ) ومهمته أن يقف فى الجزء للتقدم للميناء ويهاجم حصون  
المنطقة الثالثة .

وأما السفن الخمس الصغيرة فكان عليها أن تقف خارج منطقة  
الضرب وتشارك فى مهاجمة حصون المنطقة الثالثة عندما تحين الفرصة نظراً  
لقصر عمق غاطسها .

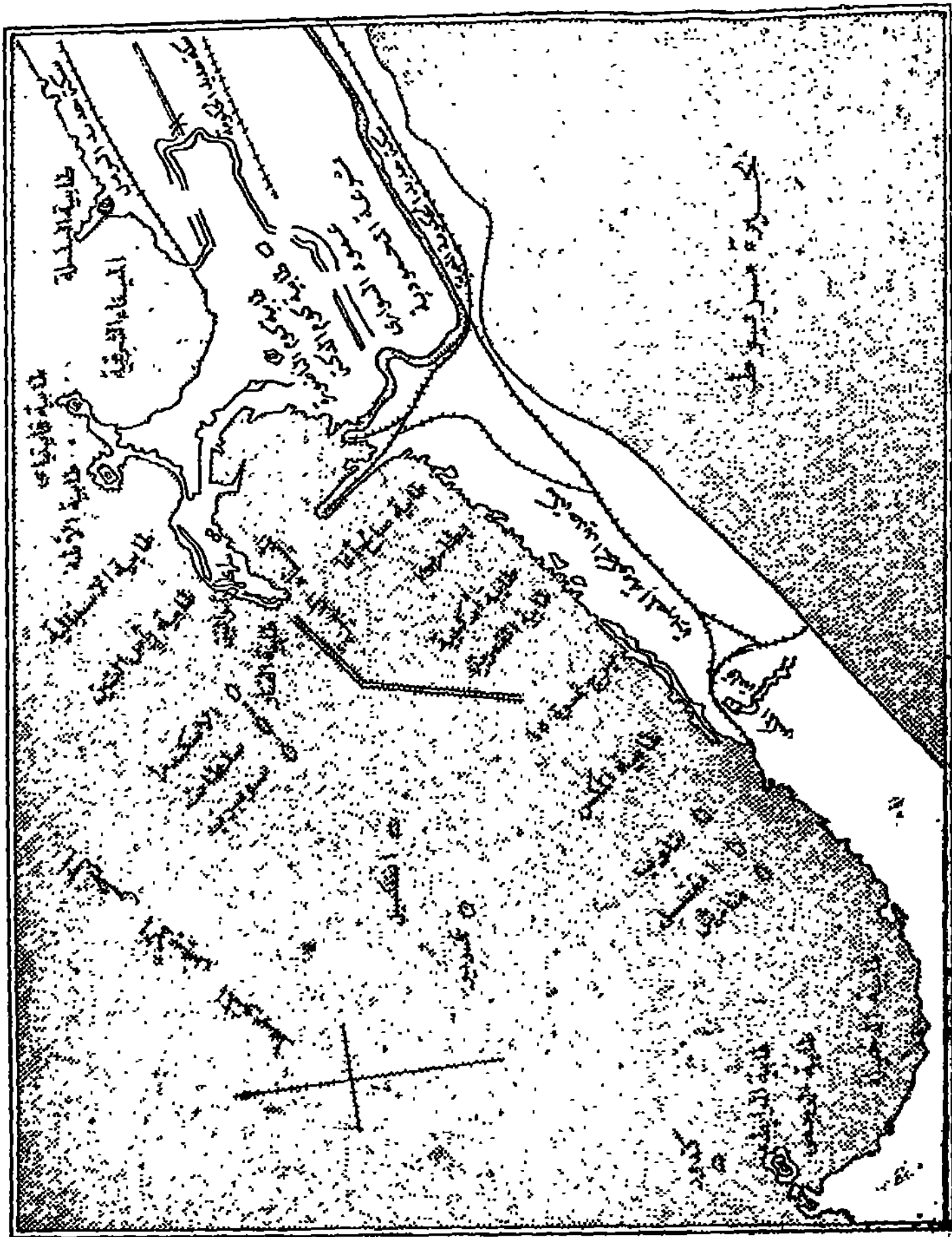
.. ونظرة واحدة إلى موقف الأسطول بالنسبة للطوابى كما هو موضح  
فى الخريطة وخصوصا الداخلى نستنتج ما يأتى :

١ — إن المخاوف التى ادعاها الاميرال من خطر الطوابى على  
الاسطول كانت مخاوف مغلقة أراد بها تسويق فعلته .

٢ — إن سيمور لم يحس أية خطورة من هذه الطوابى . . ولذلك  
دنا منها هذا الدنو الكبير لثقة بضعف تأثير مقذوفاتها .

وقد كانت النسبة بين قوة الحصون وقوة الأسطول : ١ : ٦ يضاف  
إلى ذلك أن المدافع المصرية كانت قصيرة المدى ، وكان الجنود الإنجليز  
ثلاثة أضعاف الجنود المصريين ، إذ كانت حامية الإسكندرية عند ضربها مكونة  
من ٤ أورط مشاة هى : ٢ جى و ٤ جى و ٥ جى و ٦ جى ومجموع

خريطة حصون الاسكندرية والسفن الانكليزية التي ضربت بها في ١١ يوليو سنة ١٨٨٢



عساكرها ٧٤٦٣ من المشاة ومن آلاى من طوبجية السواحل قواها  
١٧٦٢ جنديا ومن أورطتين سوارى من الآلاى الأول عدد عساكرها  
٢٦٢ جنديا بحيث لم يتجاوز المجموع الكلى ٩٤٨٧ جنديا وضابطا .

وقد بلغت خسائر الانجليز فى هذا اليوم ٦ قتلى و ٢٧ جريحاً ، أما  
قتلى المصريين وجرحاهم فقد تعذر معرفة عددهم بالضبط ، وإن كان قد زاد  
عن ذلك بكثير وقد قدرهم « ستون باشا » بنحو ٧٠٠ فرد .

ومما يذكر أن الذخيرة التى استهلكها الأسطول البريطانى كانت  
جسيمة للغاية إلى درجة استنفدت فيها المدرعات الكبيرة فى نهاية اليوم  
كل ما كان بها من ذخيرة ..

#### بسالة جنود المدينة :

ولقد أبلى الجنود المصريون بلاء حسناً ، وظلوا يقاومون بكل أمانة  
وشرف فلا تراجع ولا انسحاب ، وكان بلاء المدفعية مشرفاً للغاية ولم  
يتركوا مدافعهم لحظة وكانت الحصون تدك عليهم دكا . .

وفى ذلك، يقول « البارون ديكوزل » وكيل مصلحة الجمارك الذى  
كان على السفينة تيخور أمام الإسكندرية فى كتابه : ذكريات رجل  
إنجليزى عن مصر صفحة ٢٠٠ ما نصه .

« لقد ثبت جنود المدفعية المصرية فى مواقعهم أمام نيران الأسطول المهائلة  
الفتاكة ثباتاً دل على بسالتهم وبطولتهم النادرة .

ولم ينقض الضرب إلا فى منتصف الساعة العاشرة صباحاً من يوم .



١٢ من يوليو ؛ لأن المصريين إذا كان لديهم مدفع في موقع لم يكن قد سقط بعد ، ظلوا يستعملونه إلى أن يكره هذا المدفع على السكوت إكراها .

وقال كذلك المسيو سكوتيدس وكيال قنصل اليونان بالإسكندرية في كتابه « مصر المعاصرة وعرايى ( باشا ) » صفحة ١٦٨ :

وكانت قذائف المدافع المصرية تسقط في البحر وهى فى منتصف الطريق والبعض الآخر يصطدم بمدركات الإنجليز الضخمة فيرتد عنها كأنها جسم من المطاط ثم يغوص فى الماء .  
ومع هذا فليس ثمة إلا الإعجاب بما أبداه جنود المدفعية المصرية من البطولة والبسالة والثبات .

أما الأهالى المصريون فقد وقفوا موقف الكرامة والبطولة فبدلوا غاية ما فى طوقهم من علاج الجرحى ومنع الجنود من الاستيلاء على المدينة وإظهار السخط والكراهية للمحتلين .

ولطالما ألقى فى روع الناس كتاب التاريخ من تلاميذ « دنلوب » الاستعماري — ولا داعى لتحديد الأسماء — بأن الأهالى لم يجاهدوا حين اعتدى على مدينتهم مع أن المصريين جنوداً وأهالى أظهروا شجاعة نادرة فى هذا اليوم العصيب . . أشاد بذلك جون نينيه السويسرى فى كتابه « أحمد عرايى » .

#### حريق الإسكندرية :

وقد أشيع ، لغطا وكذبا ، أن بعض من غرر بهم أرباب السوابق انتهزوا

فرصة تراجع الجنود المصريين عن المدينة لنهب متاجرها . . كما قيل .  
كذلك : إن الأميرالاي ( سلمان سامي ) قائد إحدى الفرق قد أمر جنوده  
بإحراق المدينة قبل مغادرتها . . ويقال — وهذا أمر محتمل أيضا —  
إن مقذوفات الأسطول الشديدة كانت سببا في الحريق .

وقد حاول عرابي ومن معه القبض على ناصية الحال فلم يفلحوا ،  
فقصده هو وأركان حربه إلى جهة كفر الدوار حيث وقع عليها الاختيار  
لإقامة الموقع الدفاعي عن داخل البلاد .

#### اللس وصاحب الدار :

سكنت الطوابي . . وتوقف الضرب ، وترتب على ذلك ما ترتب من  
احتلال وما جره الاحتلال وراءه من النتائج الخطيرة مما هو معروف .  
وهنا ترتفع بعض الأصوات التي لا تسمع إلا في مثل هذه الأوقات ،  
بأنه كان على عرابي أن يأخذ الموقف بالحكمة ، فقد قيل يومئذ — ولا  
يزال يقال مع الأسف حتى اليوم — إن معارضة عرابي في تسليم القلاع  
هي التي جرت إلى الاحتلال !

فأى منطق هذا ؟ أليس تسليم القلاع بلا مقاومة هو إتاحة الفرصة  
للاحتلال . . ؟ أف يكون معنى الاستقلال أن تقبل الاحتلال دون  
مقاومة . .

## انحياز الحديو إلى الأعداء

ضربت الاسكندرية ، وامتدحت عروس البحر ، ونبص الانجليز في انتظار الأمداد ، يعدون العدة للزحف ، وكل من له أدنى خبرة بالانجليز في حروبهم في ماضيهم أو حاضرهم ، يعلم أنهم يملكون البلاد بأيدي أبنائها ويقتلون الشعوب بسيف أعرائها . . . ولقد أتاح لهم نزول الحديو بسرأي رأس التين في حماية الأسطول — الفرصة ليستعينوا بنفوذ الشرعي في تحقيق مآربهم الاستعمارية .



ضرب الاسكندرية  
قتال الأسطول « بداية الاحتلال »

فتلقاه سيمور بفرح كبير أبرق على أثره لحكومته :  
« لقد احتلت رأس التين ، ولا تزال الاسكندرية تحتوق . والحديو سالم في قصره يحرمه ٧٠٠ من البحارة » .

ولعل هذا التحول من جانب الحديو كان من أخطر الحوادث في هذه الثورة ، إذ شجع نزول العساكر الانجليزية إلى المدينة توطئة لاحتلال البلاد بعد ضرب القلاع .

لم ترتض مصر التسليم طائفة مختارة ، ففي هذا قضاء على حريتها وكرامتها وكيانها . . . واختارت الحرب لتحافظ على شرفها في حين أخذ الحديو على عاتقه تقديم الوطن لقمة سائغة للمحتل ، فأذاع « سيمور » في ١٧ من يوليو سنة ١٨٨٢ منشوراً وزع في شوارع المدينة ، و هو أول منشور يعلن فيه الانجليز أنهم مكلفون من جانب الحديو ردع العصاة ، والمحافظة على النظام ! .

وشايح راغب (باشا) رئيس الوزراء ميده وكان يؤيد مقاومة التدخل البريطاني حتى ضرب الاسكندرية ، ولم ينجح أن يستكتبه سيمور خطاباً في اليوم نفسه يرفعه إليه جاء فيه :

« لي الشرف الرفيع أن أعلن لحضرتكم أن ( عرابي ) يشتغل الآن بإعداد وسائل الدفاع ، وذلك مخالفة لأوامر جناب الحديو ، فكونوا إذن على علم بأن الحديو عزم على عزله ، فهو لذلك المسئول عما يحدث . فأرجوكم أن تبلغوا مضمون هذه الرسالة إلى حكومة جلالة الملكة » .

ثم تعدو المؤامرة سريعاً نحو غايتها المرسومة ، فيدعو توفيق ( أحمد عرابي ) للحضور إلى الإسكندرية محملاً إياه تبعة ضرب الاسكندرية أمام حسن مقاصد الانجليز !

واعتذر عرابي بأن البلاد في حالة حرب مع الانجليز بناء على قرار

مجلس الوزراء الذى عقد برئاسة الخديو ، والذى بمقتضاه تقرر رفض الإنذار الانجليزى الذى وجهه سيمور فى ١٠ من يوليو حتى لو أدى ذلك إلى القتال ثم أضاف عرابى :

إنه لا يليق له أن يكون فى بقعة فى يد العدو — وأنه من الأولى إيفاد الوزراء أو رئيسهم إلى كفر الدوار للتشاور فى الموقف .

### المجلس العرفى :

انكشف المستور ، وظهرت مشايعة الخديو للانجليز ، وفطن عرابى إلى أن (توفيقا) سوف يصدر قرارات تشل الحركة القائمة على قدم وساق لمقاومة العدو ، فبادر عرابى بإصدار الأوامر المشددة إلى المديرين والمحافظين يحذرهم فيها اتباع أوامر الخديو الذى مالا الانجليز ، وأن عليهم أن يتخذوا الأهبة ويستعدوا للقتال .

وفى الوقت نفسه أرسل إلى يعقوب سامى (باشا) وكيل وزارة الحرية ليقوم بدعوة العلماء والأعيان للتشاور فى الموقف وإصدار ما يجب عمله لصالح الأمة .

وفى مساء يوم ١٧ من يوليو عقد بديوان وزارة الداخلية مجلس من وكلاء الوزارات وكبار الضباط والموظفين ، وقرر المجلس المذكور الذى سمي « بالمجلس العرفى » والذى ظل فترة الحرب يتولى زمام السلطة نيابة عن الأمة ، دعوة قادة الرأي فى البلاد والأعيان والعلماء فى شكل جمعية عمومية سرعان ما انعقدت بعد ساعات قليلة ، وشهدتها الشيخ الإيتنبابى شيخ الإسلام وقاضى القضاة ، ومفتى الديار والنواب والتجار . واتخذت

الجمعية قراراً خطيراً مؤداه إعداد الأمة للجهاد ، واستدعاء الوزراء إلى القاهرة .

وعندما باغ خبر هذا سماع توفيق أصدر مرسوماً في ٢٠ من يوليو بعزل عرابي من وزارة الحرية وتعيين عمر لطفي ( باشا ) محافظ الإسكندرية بدلاً عنه ، وأردف ذلك بمنشور علق في شوارع الإسكندرية يسوغ فيه احتلال الإنجليز للمدينة بحجة المحافظة على الأمن بعد أن أخلى عرابي الإسكندرية دون مقاومة .

ويفهم من منشور الخديو أنه كان يريد أن يقنع المصريين بأنه كان راعياً في المقاومة وعدم ترك المدينة بدون دفاع . . ولندع ( عرابي ) يرد على ذلك بنفسه ؛ فقد جاء في تقريره الذي كتبه إلى محاميه المستر برودلي وهو في السجن :

« أصدر الخديو أمره في مجلس الوزراء إلى جنودنا ليجتاحوا قلعة العجمي ويمنعوا نزول الجنود البريطانية — فأفهمت سموه أن المشاة لا يستطيعون هذا لأنهم يتعرضون بذلك لنيران مدفعية السفن كثيراً ويكفون عرضة كذلك لأن يقطع عليهم الطريق إلى الإسكندرية » . . فظهر على الخديو الغضب . . وقال :

لماذا تسمون أنفسكم جنوداً إذا كنتم لا تستطيعون أن تمنعوا عدواً من أن ينزل جنوده ببلادنا ! »

ويمضي الخديو بعد ذلك متعاوناً مع الإنجليز . . أرسل يطلب القنصل الإنجليزي حاثاً إياه أن يستحث حكومته لتخطو خطوة جديدة بإبطاء قائلاله :

« إذا تباطأت انجلترا في إرسال القوة التي تحتاج البلاد إليها ، فستكون عاقبة الأمر وخيمة إذ أن الشعور الوطني قد بلغ حداً كبيراً .

لذلك انسحبت حامية الاسكندرية لتتخذ مكاناً حصيناً يصلح لإقامة خطوط الدفاع عن داخلية البلاد ، وقد اتخذت جهة كفر الدوار مركزاً لهذا الدفاع .

ولم يحفل الشعب بأمر توفيق القاضي بعزل عرابي ، بل انعقدت الجمعية العمومية ثانية في ٢٣ من يوليو في نحو خمسمائة عضو على هيئة مؤتمر وطني يتقدمهم الرؤساء الروحانيون ( شيخ الإسلام وبطريك الأقباط وحاخام اليهود ) وأعيان البلاد وكبرائها ، وتولى عرض الموقف الإمام الشيخ محمد عبده الذي اختتمه بفتوى العلماء الثلاثة : « العدوى وعليش والحلفاوى » تنص على أن الحديو بأنحيازهم إلى المعتصب يعد مارقاً عن الدين ، وعلى عدم قبول عزل عرابي ، وإيقاف العمل بأوامر الحديو . وهنا بدأت الحرب .





الحرب العرابتية



## القيادة

عين عرابي اللواء ( محمود فهمي ) رئيساً لهيئة أركان حرب الجيش  
المصري بعد ضرب الإسكندرية . . وكان من أكفى رجال الهندسة

العسكرية حيث اكتسب خبرة  
عملية ، فقد سبق له الاشتراك في  
حرب البلقان بين روسيا وتركيا  
سنة ١٨٧٦ . . ووضع خطة  
سديدة للدفاع عن البلاد كقيلة  
بصد الانجليز وإيقاظ مصر من  
هذه الحملة لو اتبعت بإحكام .

### مجل الخطة :

اختار محمود فهمي خمسة  
مواقع رئيسية لتكون مراكز  
للدفاع عن البلاد :

الأول في كفر الدوار .

والثاني في رشيد .



اللواء محمود فهمي  
« خطة محكمة للدفاع عن البلاد »

والثالث بين رشيد وبحيرة البرلس .

والرابع في دمياط .

والخامس في الصالحية والتل الكبير . . وذلك لصد الهجوم من ناحية الشرق ومن جهة قناة السويس ، وقد أشار بسد ترعة الإسماعيلية بمجرد بدء الحرب لمنع وصول المياه العذبة إلى الموانئ الثلاثة ( بور سعيد ، الإسماعيلية ، السويس ) كما قرر ردم قناة السويس ذاتها لمنع العدو من اتخاذها قاعدة عسكرية .

#### مزايا الخطة :

لو أخذ بهذه الخطة لتحقيق ما يأتي :

١ — إنها كانت تحول دون وصول قوات بريطانية من الهند لتتصل بالقوات التي جلبت عن طريق البحر الأبيض .

٢ — كان من شأنها أن تحول دون وصول القوات إلى الإسماعيلية بسهولة عن طريق القناة .

٣ — كان من شأنها كذلك أن يضطر العدو إلى عبور الصحراء الشرفية أو مهاجمة مصر عن طريق الدلتا ، وكلا الأمرين يعتبر دغامة للمهاجم نظراً لخلو الصحراء من قواعد التكوين وموارد المياه ، كما أن الترع والجسور كانت ستعطل زحف القوات ولا سيما أن فترة الزحف كانت في أغسطس وسبتمبر وهما موسم الفيضان في مصر .

وهنا ينبغي أن نسجل تردد عرابي الذي خشي عواقب ردم القناة

مع أن رئاسة أركان حربہ تمسكت بهذه الخطة ظناً منه أن الانجليز لن يجسروا على اختراق « حيدة القناة » وكلنا نعرف كيف سارع العدو إلى خرق حياء القناة . .

وبهذا لم يتمكن من الدفاع عن الجهة الشرقية إلا بالقوة التي كانت تعسكر في التل الكبير على بعد ١١٠ كيلو مترات من القاهرة ولعل هذا الخطأ من جانب عرابي هو العامل الرئيسي في انهيار خطة الدفاع .

### القوات :

كانت القوات المصرية حوالي ١٩,٠٠٠ من الجنود النظاميين ، وبضعة آلاف أخرى ، من جموع العربان والجنود غير النظاميين والحفراء الذين كان ضررهم أكثر من نفعهم لعدم تدريبهم على أساليب القتال .

ووزعت هذه القوات على النحو الآتي :

٨,٠٠٠ في كفر الدوار بقيادة اللواء طلبة عصمت .

٣,٥٠٠ في ( أبو قير ) بقيادة اللواء خورشيد طاهر .

٢,٥٠٠ في رشيد بقيادة اللواء على الروبي .

٥,٠٠٠ في دمياط بقيادة اللواء عبد العال حلمي .

٦,٠٠٠ في الجهة الشرقية بقيادة الفريق راشد حسني .

وكانت تتبعه حامية الصالحية بقيادة اللواء سامي البارودي .

### خطة الانجليز :

في ٢١ من يوليو ٨٨٢ صدر الأمر بتعيين الجنرال السير جارنت ولسلى قائداً عاماً للحملة الانجليزية على مصر . . ولم يصل مصر إلا في منتصف أغسطس وظل يتولى قيادة القوات الانجليزية في مصر بعد ضربها في ١١ من يوليو الجنرال « اليزون » تعاونه قوة الأسطول بقيادة سيمور حتى وصول الجنرال ولسلى .

### مجل الحطة :

كانت الحطة الأساسية للحملة الانجليزية هي غزو مصر من الشرق . وكان ذلك يقتضى اقتحام قناة السويس واتخاذ الاسماعيلية قاعدة للزحف على القاهرة .. على أن يقوم جزء من قوات العدو بشغل « قوات منطقة كفر الدوار » إخفاء لاتجاه الهجوم البريطانى

التم الانجليز خطة الدفاع بعد ضرب الاسكندرية حتى تصلهم الامدادات من الخارج ، فأخذوا فى تحصين مدينة الاسكندرية بقيادة الجنرال اليزون الذى بلغت قواته حوالى ٤,٠٠٠ جندي عدا قوات الأسطول التى كانت حوالى ١٣,٠٠٠ وعلى الرغم من أن الانجليز كانوا يلتزمون خطة الدفاع فى الميدان الغربى ( ما بين كفر الدوار والاسكندرية ) قبل وصول قواتهم الرئيسية بقيادة ولسلى فإنهم بكروا فى خرق حرمة قناة السويس منذ ذلك الوقت على عكس ما كان يظن عرابى بل اتخذوها ميداناً لتحركاتهم العدوانية.

### القوات :

بلغ عدد الجيش الانجليزى عندما اكتمل وصول الإمدادات التى

وردت إلى الإسكندرية والسويس ما يقدر بثلاثين ألف مقاتل كانت عبارة عما يأتي :

١٤٠٠٠ من المشاة

٣٠٠٠ من الفرسان

١٠٠٠ من المدفعية

٥٦٠ من المهندسين

والباقي لأعمال الهندسة والسكك الحديدية والإشارة

#### الميدان الغربى :

المقصود بالميدان الغربى ما بين الإسكندرية وكفر الدوار .. وبالميدان الشرقى ما بين الاسماعيلية والتل الكبير .

ولقد وجه عرابى معظم عنايته إلى الميدان الأول وجمع فيه أهم قواته وأهمل الميدان الشرقى فكان ذلك السبب الأكبر فى الهزيمة .

#### منطقة الدفاع :

وكانت خطوط الدفاع عن هذا الميدان عبارة عن ثلاثة خطوط يبعد كل منها عن الذى يليه أربعة أو خمسة كيلومترات .

وكان بين كل خطين خندق عمقه ١٥ قدماً ، وبُنيت على المرتفعات الصالحة للملاحظة ، واقع المدافع التى بلغت خمسين مدفعاً .

وأسندت قيادة القوات وعددها ٨٠٠٠ جندي وضابط لطلبة عصمت تحت امره عرابى .

وقد قام ببناء الاستحكامات نحو خمسة آلاف من المتطوعين من  
مديريات البحيرة والغربية والمنوفية .

وجعل عرابى مركز قيادته عند كنج عثمان .

#### موقعة الرمل :

أول ما قامت به حامية كفر الدوار سد ترعة المحمودية لمنع المياه العذبة  
عن الإسكندرية ، فانزعج الإنجليز وهاجر الأورويون من الميناء ، وتعذر  
على قواتهم الحصول على الماء . . فزحفوا بثلاثة آلاف جندى بقيادة  
الكولونيل « سبتان » فى أغسطس سنة ١٨٨٢ يريدون التقدم من جهة  
الرمل . . حمل المصريون عليهم بكتيتتين من المشاة ، وكتيتتين من  
الفرسان تحت قيادة البكباشين أحمد اليار ومصطفى عثمان ، ثم حاصروهم  
من جهه ( أبوقير ) بثلاثة بلوكات من الفرسان بقيادة اللواء خورشيد  
طاهر قائد خط ( أبوقير ) ، وهجم المصريون عليهم هجوماً شديداً اضطرتهم  
إلى الإدبار ، وتعرف هذه الواقعة بوقعة الرمل حيث كان هجوم الإنجليز  
عن طريق هذه الضاحية .

#### موقعة غرب خورشيد :

وفى ١٧ من أغسطس قام الإنجليز بهجوم ذى ثلاث شعب على مقدمة  
الجيش المصرى : تقدم الجناح الأيمن بطريق السكة الحديدية من  
القبارى ، والثانى من طريق كوبرى المحمودية ، والجناح الأيسر من  
طريق الرمل ، وتقابل الجيشان وتقاتلا بالسلاح الأبيض ست ساعات ،



جرح خلالها قائد القوة البكباشى محروس الذى دافع دفاعاً مجيداً عن قطاعه . .

وانجلى المعركة بارتداد الإنجليز إلى الإسكندرية تحت جنح الظلام بعد أن وقعت بهم خسائر تزيد على خسائر المصريين .

### معركة كفر الدوار :

وصل الجنرال « ولسلى » ليتولى قيادة الحملة فى ١٥ من أغسطس ؛ وبوصوله استكملت الحملة الإنجليزية إمداداتها التى بلغت ثلاثين ألفاً . . وما إن وصل المدينة حتى أذاع الإعلان الآتى على الأهالى فى ١٩ من أغسطس :

« بأمر الحضرة الخديوية يعلن الجنرال قائد الجيوش الإنجليزية بأن مقاصد الدولة البريطانية ليست إلا تأييداً لسلطة الخديو ولردع العصاة والقضاء على الفتن ، ولا مطمح للانجليز فى غزو أو فتح » .  
.. فماذا كانت النتيجة . . ؟

زاد تصميم الأمة على الجهاد وعزم الشعب على الثبات ، وهجم الإنجليز فى اليوم الذى صدر فيه هذا المنشور بقوات كبيرة نقلتها القطر المسلحة من جهة القبارى تساعدها قوات أخرى من جهة الرمل يربو عددها على القوة المصرية أضعافاً ، إلا أن المصريين تمكنوا من صدّهم جميعاً بعد أن كبدوهم خسائر كبيرة .

ثم عاود الإنجليز الهجوم فى أيام ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ من أغسطس على مواقع المصريين بكفر الدوار إلا أنهم تمكنوا من صد العدو فاضطر إلى الانسحاب إلى الإسكندرية .

وهكذا كانت وقائع الميدان العربي سجلاً مجيداً من سجلات الكفاح  
الذي اشترك فيه الجيش والشعب .. وأتفق الشعب على المعركة حيث كانت  
خزانة الدولة قد نهبت .. نهبا الإنجليز غداة مهاجمة الأسطول .

وكان أشد ما يواجهه ( عرابي ) في ذلك الوقت الحصول على المال —  
والمال عصب الحرب — إذ أخذ مستر كافن المراقب المالي جميع الأموال  
من الخزانة المصرية ووضعها تحت تصرف الإنجليز في الاسكندرية إثر  
هجوم الأسطول عليها .

ولكن التاريخ علمنا أنه إذا أجمع شعب على الكفاح فلن تقف في  
سبيله العقبات بل وكان من مفاخر هذه الثورة إسهام الشعب بكل ما يملك  
في تمويل الجيش مما يضاف على هذه الثورة الصفة الشعبية ويندر أن نجد في  
تاريخ الحروب حرباً كحرب الثورة العرابية . ينبذ فيها الشعب حكمه  
وينضم للشوار ثم يقوم الشعب بالاتفاق على الحرب .. فالحزاة خاوية ،  
والتجارة متوقفة . فجمع الأهالي الأموال وسائر الأطعمة والامدادات  
للقوات المحاربة ؟ وتبرعوا بعشرة قروش عن كل فدان على أن ينحصر  
ماتبرعوا به في المستقبل من ضرائب الاطيان .

وفي ذلك يقول الإمام الشيخ محمد عبده :  
هل يقدر أحد أن يشك في كون جهادنا وطنياً صرفاً .. بعد أن آزره  
رجال من جميع الأجناس والأديان . فقد تبرع الأمراء والأعيان والعلماء  
حتى الدساء .

وقد ذهب الناس من فلاحين وعمال إلى الحرب راضين متشوقين  
لمقاتلة الإنجليز .

بقيت نقطة أحيرة عن الميدان الغربي تقف عندها قبل أن أتقل  
الحديث عن الميدان الشرقي .

فما أ كثر الكتاب والمؤرخين الذين يهونون من معارك كفر الدوار  
للتقليل من شأن انتصارات الجيش المصري في هذا الميدان والتهوين من  
شأن تعاون الشعب مع الجيش في هذه المعارك .. ! هؤلاء عمدوا إلى  
قلب الحقائق حين ذكروا أن هذه الوقائع كانت من أجل المناوشة  
فقط والتضليل .

والأمر غير ذلك . فوقائع الميدان الغربي ولاسيما موقعة كفر الدوار  
كانت معركة ولم تكن مناوشة .. ولم يكن الغرض منها التضليل بل كان  
سببا لغور الخطوط الدفاعية المصرية .

والقوات المناوشة التي تقصد التضليل تكون عادة في معظم الأحيان  
قليلة لا تزيد على المئات ، ولكن معارك كفر الدوار كانت تشترك فيها  
القوات الانجليزية بالآلاف ، بل لقد زادت القوات الانجليزية التي اشتركت  
في معركة كفر الدوار في يوم ١٥ من أغسطس سنة ١٨٨٢ عن عدد القوات  
المصرية التي تقدر بثمانية آلاف مقاتل . والواقع أن الحطة الانجليزية لم  
تكن مبنية على التضليل في الميدان الغربي ، بل كانت قائمة على فتح ميدانين  
وتزويد الميدان الغربي بخطوط كفر الدوار بقوات إنجليزية كبيرة يمكن  
بها فتح هذا الميدان إذا تمكنت القوات المصرية من صد القوات الانجليزية  
في الجهة الشرقية .

وإنه لما يؤسف له أن يذكر أن الحطة كانت للتضليل ، كأن المصريين

لم يكونوا يعلمون أهمية الميدان الشرقى .. بل الثابت والواقع كما ذكرنا فى .  
محمل الخطة أنها كانت أصلاً موضوعة على أساس أن الميدان الشرقى هو  
الميدان الأول .. وكان قائد هذه الجهة أرفع الضباط المصريين رتبة  
وأبسلهم فى القتال الفريق راشد حسنى ، وإن اللواء (محمود فهمى) رئيس  
أركان حرب الجيش وضع الخطة على أساس ردم ترعة الاسماعيلية لمنع المياه  
العذبة ، و ردم القناة — إلا أن (عرايى) لم يأخذ بهذه الخطة لا لأنه  
كان يجهل أهمية الميدان الشرقى ، أو لأنه انخدع كما يذكر ذلك كثير من  
الكتاب ، بل لأنه أخطأ فى تقدير الموقف كما سوف نشرح فى صفحات تالية .

### الميدان الشرقى:

#### التكتيك السياسى :

كانت خطة الحملة الانجليزية غزو مصر من الشرق والضغط على الحامية  
المصرية فى كفر الدوار ، وكان ذلك يقتضى اقتحام قناة السويس ، ولذلك  
وضع الانجليز خطة محكمة اتبعوا فيها تكتيكاً سياسياً بارعاً كان له الأثر الأكبر  
فى توجيه سير المعارك فلم يخل ميدان من توجيه نشاطهم ضد عرايى ..  
فى العالم .. وفى الآستانة .. وفى مصر .

فى الميدان الأول : تعللوا بحجة الخطر المحدق بالقناة...

فى الميدان الثانى : أذاعوا منشور العصيان .

فى مصر : أطلقوا خيول سان جورج .

.. ولكل اسم من هذه الأسماء قصة .

## قناة السويس

ما كاد الانجليز يفرغون من ضرب الاسكندرية بحجة رعاية الأجانب حتى أخذوا يخوفون الدول بما زعموا من الخطر المهدق بسلامة القناة .. وكانوا يريدون من هذه الإثارة أن يزعموا امام دول مؤتمر الآستانة أن الظرف القاهر الذى امتلزم التدخل الحربى فى شئون مصر ، لم ينته بضرب الاسكندرية ، بل إنه ما زال قائماً .. ليتخذوا من هذا ذريعة لاقتحام القناة .

فأرسل جرانفيل وزير خارجية بريطانيا إلى سفراء إنجلترا لدى الدول المشتركة فى مؤتمر الآستانة ليخبر كل منهم الدولة التى يقيم فيها بما يخشى من خطر على القناة . ويسألها : ماذا ترى من علاج لهذه الحال التى قد تقضى إلى كارثة تحل بالتجارة الدولية .. ؟

وفى الوقت نفسه أظهرت فرنسا من التردد حيال القناة مثل ما أظهرت حيال ضرب الاسكندرية .

ونقضت إيطاليا يدها من المسألة المصرية كلها ..

.. وهكذا انقردت إنجلترا فى موضوع القناة على نحو ما فعلت فى ضرب الاسكندرية من اختلاق العلل لحرق مبدأ حرية الشعوب .. فقد استباححت أيضاً تلك العلل فى خرق حرمة الممرات ذات الصبغة الدولية ، فقد زعمت أن هناك ترميمات تجرى فى طاية الجميل على مدخل بحيرة المنزلة غربى بورسعيد — تماماً كما تعللت فى ضرب الاسكندرية — وكلفت مسيمور قائد أسطولها احتلال بورسعيد والاسماعيلية .. ولم يمض يوم ٢٦

من يوليو إلا وقد اقتحمت السفينة الحربية «أوريون» ميناء بورسعيد وفي ٢٧ منه رست في بحيرة التمساح على مسافة أقل من كيلو متر واحد من الاسماعيلية وتبعها سفينتان أخريان ..

وفي ٢٩ منه وصلت إلى السويس على مقربة من مدخل القناة قافلة بحرية من أربع سفن حربية بقيادة الأميرال هوت . وفي ٢ من أغسطس احتل الإنجليز السويس كما احتلوا ثكناتها التي أخلاها الجيش المصري دون مقاومة . ولا ريب أن إخلاء السويس على هذه الصورة كان من أكبر العيوب في هذا الميدان .

وعلى الرغم من هذا كله كان عرابي يردد استبعاده لخرق حرية قناة السويس بدعوى أن القناة إنما تبتدىء من بور توفيق على مسيرة ٣ كيلو مترات من السويس التي وقعت في قبضة الأعداء .

بقي أن نقول : إنه — وإن كان من أكبر أخطاء عرابي عدم الموافقة على ردم القناة — فمن الواجب أن نوضح نكطة صارت مشوشة حتى استقرت في الأذهان بفعل السنين بما دأب خصوم عرابي أن يشيعوه وأهمها :

١ — موقف دلسبس من عرابي .

٢ — موقف عرابي من ردم القناة .

### عرابي لم ينخدع

ردد الكثيرون القول بأن دلسبس خدع (عرابي) وأن (عرابي) «انخدع به» . والحقيقة أن دلسبس — بطبيعة الحال — كان يعارض موقفه إنجائياً من انتهاك حرية القناة ، لا تأييداً لمصر ولا للثورة العرابية ، إنما —

على الأقل — للمحافظة على مشروعه إذ كان يخشى أن تؤدي سياسة  
الانجليز إلى سدها أو تحطيمها بأيدي الوطنيين .

١ — ففي ١٩ من يوليو أى قبل أن يقتحم الأسطول القناة ذكر  
« كارتريت » فيما أ برق إلى جراتيل بقوله : « أشرف بإخباركم بوصول  
السيو دلسبس إلى الإسكندرية وأن مجيئه إلى مصر في هذا الوقت يعد من  
صوء الحظ » .

٢ — وفي ٣٠ من يوليو أ برق جراتيل إلى سفير إنجلترا بباريس  
يقول :

« بالنسبة لمسلك السيو دلسبس فيما يتصل بحماية القناة ، أرغب أن  
تبسط للسيو دى فرميه أن حكومة جلالة الملكة ترى من المسلم به أن  
السيو دلسبس لم يعط سلطة ليتكلم أو يعمل باسم الحكومة الفرنسية » .  
٣ — كما أن دلسبس كان يبغي من هذه المعارضة حمل حكومته على  
التدخل لحماية مشروعه . . وفي ذلك يقول « جون نينه » السويسرى فى  
كتابه أحمد عرابى :

« ولم يكن دلسبس كاذباً . . ولكن السياسة عرضته للكذب » .

« إحصام عرابى عن ردم القناة خطأ لا جهل » .

يجمل بنا أولاً أن نلقى الضوء على ما كان يحيط بعرابى من ظروف  
تقبل أن نحكم على موقفه .

فأولاً : كانت إنجلترا تصور العرايين بأنهم « عصاة » فكيف تكون

الحال لورد ميراى القناة ، ومؤتمر الدول الذى يبحث الموقف فى مصر منعقد بالآستانة ؟

والرأى العام العالمى يترقب ليسجل ؟

وانجلترا تقوم بتلك الحملة المصطنعة بدعوى « الخطر المهدق بالقناة » .  
مع أنه لم يكن قد حدث شىء على الإطلاق . . . .  
وثانيا : كان ميراى يخشى لو ردم القناة أن يصبح العالم كله عدو  
ثورته ، فهى كانت تحجم بريطانيا على أن تصفه بالطاغية الذى يردم  
القناة .. ويعطل التجارة العالمية .

وقد يقال — وهذا حق — إن الرأى العالمى إن هو إلا خرافة . .  
فماذا صنع المؤتمر ؟ وماذا صنع العالم عندما ضربت إنجلترا ميناء الاسكندرية ؟  
ولعل أدق من صور موقف ميراى فى هذه المسألة « الشيخ محمد عبده »  
حيث يقول فى مذكراته :

« ميراى اعتمد على دلسبس فى حماية القناة ، وكان يظن أن مس  
القنال يهيج عليه جميع الأمم ، لهذا ترك هذه الناحية عوراء »

ومن هنا نرى أن ( ميراى ) قد خان التوفيق فى تقدير الموقف ،  
فارتكب خطأين ساعدا على عدم إحباط خطة الانجليز :

الأول : عدم تحصين المنفذ الشرقى إلى مصر تحصين الكافى ، حيث  
صرف الجانب الأكبر من عنايته إلى الميدان الغربى .

الآخر : اطمئنان ميراى إلى حيدة قناة السويس ، وحرصه على إرضاء



الدول بالمحافظة عليها ، فلم يقيم بدم القناة مع أن أركان حربها اللواء محمود فهمى رئيس أركان حرب الجيش المصرى أشار بردها .

ولعل السبب الأول مبنى على الأخير وهو استبعاد عرابى خرق حرمة هذه المنطقة الدولية .

ولكن الانجليز وضعوا نصب أعينهم « سياسة الأمر الواقع » ، ولم يأبهوا — كما أبه عرابى — بتلك الكرامة البراقة « الشرف السياسى ! »

### خديعة السلطان !

والميدان ( الثانى ) الذى حارب فيه الانجليز ( عرابى ) كان فى الآستانة حيث الخليفة السلطان الذى كان المصريون يرون فى عرابى مدافعاً عنه ضد انجلترا المعتدية . . وأخذت انجلترا من جانبها تضغط على السلطان ليعلن « عصيان عرابى » مستغلة اهتمام السلطان الشديد بالاشتراك مع انجلترا فى الحملة على مصر . .

وهكذا كان موقف تركيا منطوياً على الخطأ والتردد منذ شبت الثورة ، فهى تتحدث مع الحديو بوجه . . وتحدث ( عرابى ) بوجه آخر لتكسب من وراء هذا المسلك الملتوى نفوذاً وسلطاناً ، فحسرت كل ما كانت تملكه من نفوذ وسلطان !

فبينما الجيش الإنجليزى يتقدم داخل البلاد ، كان الأمل يتضاءل فى استطاعة تجهيز حملة تركية تشترك مع الحملة الانجليزية فى إخماد الثورة ، بما كان يشترطه الداهية اللورد « دوفرين » سفير انجلترا لدى الباب العالى

من شروط المحيىء هذه الحملة ، واثقا من عدم موافقة تركيا عليها ، كى  
يطيل أهد المفاوضات ويكون جيش بلاده قد تمكن من القضاء على الثورة  
وحده .. ومن ثم لا يكون هناك داع لحضور حملة أخرى .

أما الشروط فهى أربعة :

- ١ — ألا يتجاوز الجيش العثمانى ستة آلاف جندى .
  - ٢ — لا يدخل هذا الجيش مصر عن طريق البر أو ينزل الاسكندرية ..
  - ٣ — عرض خططه الجرية على القيادة الانجليزية .
  - ٤ — يصير سحب هذا الجيش بمجرد جلاء الجيش الانجليزى عن مصر ..
- فرفضت تركيا هذه الشروط ، ففادت عليها الفرصة مع أنها لو بادرت  
بإرسال الحملة حتى بهذه الشروط لأدى ذلك لا محالة إلى جلاء الحملتين معا .  
فما بعد . وكل السوابق التاريخية تثبت ذلك حتى فى العصر الحاضر ( جلاء  
القوات الروسية والأمريكية والانجليزية عن إيران بعد انتهاء الحرب العالمية  
الثانية . وجلاء القوات الانجليزية والفرنسية عن سورية وجلاء الجيشين  
العثمانى والانجليزى نفسيهما عن مصر أيضاً بعد جلاء الفرنسيين فى  
عام ١٨٠١ ) .

هدد دوفرين بقطع المفاوضات ، واشترط أنه لا يرتضى التوقيع على  
أى قرار إلا إذا وصله قرار عصيان عرابى باللغتين الانجليزية والفرنسية  
وعليه توقيع الساطان .

.. وفى ٢٧ من أغسطس وافقت تركيا على ماتراه انجلترا وأن قرار

عصيان عرابي يصدر عقب التوقيع على الاتفاق : غير أن إنجلترا اشترطت أن يعلن قرار العصيان في الحال.. وحققت إنجلترا الهدف الذي كانت تبغيه .. وما أن ظفرت بتوقيع السلطان . حتى اتصلت من وعدها بحجة أن القرار لم يصدر بالصيغة التي أرادتھا ...

وهكذا كان مسلك السلطان عبد الحميد خليفة المسلمين . خدع مصر لتخدعه بريطانيا .. فهو ينعم على عرابي بالومام المجيدى الأكبر . ثم يطعنه طعنة نجلاء وهو يدافع عن حقوق السلطان ...

## خيول سان جورج

أما في مصر فقد اعتمد الانجليز على فرسانهم الذين دفعوا بهم إلى المعركة  
وفرسان هذا الميدان كانوا :

— علماء خانوا أمانة العلم .

— وأعرابا من البدو عملوا بجواسيس وتنكروا للوطن الذي يأويهم

.. وضباطا خونة اغتالوا ضمائرهم ومدوا أيديهم ليطعنوا جيشهم

وإخوانهم في الدم والدين والجنس .

— وأعياناً دفع بهم الخديو في ذيل الحملة الانجليزية ليكونوا كلاب

حراسة للعدو ، وخداماً لأغراضه ورغباته .

وكان أبرز هؤلاء الفرسان :

### إدوار بالمر :

كان أستاذاً للغات الشرقية في جامعة كمبردج استدعته الأميرالية  
البريطانية لإجادة اللغة العربية ، وخبرته بأحوال المنطقة حيث كان عضواً  
في جمعية كشف فلسطين ، وقد بدأ بالمر مهمته من يافا مرتدياً الملابس  
العربية ، منتحلاً شخصية تاجر إبل وتعاقد في أثناء رحلته — كما جاء في  
مذكراته اليومية — مع مشايخ الطياحة كما اتصل ببعض مشايخ الطرايين ..

وقد توثقت صلته بالبدو حتى أطلقوا عليه « عبد الله أفندى » ، وكان يسمعونهم الشجر العربي ، ويشاركونهم في غذائهم وغذائهم ، واشترك بالمر مع القوة التي احتلت السويس في الأول من أغسطس ، ثم انطلق إلى الصحراء يحطم (و. مع زمرة من البدو) أسلاك التلغراف ، ويحرق أعمدة التليفون ليقطع كل مواصلات بين عرابي وتركيا . . ولقى حتفه في سيناء مع زميله الكابتن جل .

### الكابتن جل :

لم يقل نشاط جل غربي القناة عن نشاط « بالمر » شرقيها فقد اتصل بأكبر مشايخ البدو في هذه المنطقة — بناء على مشورة الخديو — الذي كتب اسميهما بنفسه كما جاء في مذكرات جل الشخصية ، وهما: سعود الطحاوي في الصالحية — وقد كان من أكبر ثقة عرابي ومحمد البقلي في وادي الطميلات .

وقد اجتذب جل الكثير من قبائل البدو بما كان يقدقه عليهم من أموال طائلة . . وأخيراً التقى ببالمر ، وبدأ في العمل معاً حيث أعطى جل زميله عشرين ألف جنيه ليوزعها على الأعراب الموالين ولكن حدث في أثناء سيرهما أن صادفهما في صحراء سيناء أفراد من قبيلتي الحوايات والحويطات ، فكشفو أنهما يحملان مالا إلى الطياحة فأوثقوهما وسرقوا ما معهما من مال ، ثم قتلوهما رمياً بالرصاص في وادي سدر .

### سلطان ( باشا ) :

بز بالمر وجل الانجليزيين محمد سلطان (باشا) الذي كان — مع الأسف —



سلطان باشا  
نائب الخديو المرافق للحملة الانجليزية

قبل الحملة الانجليزية رئيسا للحزب الوطنى قبل رئاسة عرابى لهذا الحزب حتى كان يطلق عليه فى يوم ما « أبو المصريين » . . ثم أصبح بعد مجيء قوات الغزو نائباً للخديو توفيق المرافق للحملة الانجليزية .

قال الشيخ محمد عبده فى مذكراته : « مركز الدسائس والمخابرات كان فى الاسكندرية فى مكتب يسمى قسم المخابرات العسكرية اجتمع فيه كثير من الانجليز من موظفى الحكومة المصرية ومن المقيمين بمصر . . وكان روح الجميع « سلطان باشا » وقد عرف ( سلطان باشا ) سلطة النقود على الأرواح فأخذ فى التوزيع باسم الخديو والسلطان . واختار لبث الأفكار الطحاوى أحد ثقة عرابى ! »

وكان مساعد ( سلطان باشا ) فى هذا المضمار « عثمان بك رفعت » ياور الخديو ، وكان ماهراً ذكياً أحدث تأثيراً كبيراً فى نفوس عدد كبير من الضباط وبخاصة الشراكسة ، ( وعمر لطفى باشا ) محافظ الاسكندرية .

#### أسماء . . وأسماء :

أما العسكريون ، فمما يؤسف له أنهم كانوا ضباطا خانوا أمانة الشرف العسكرى ، والواجب الوطنى ، والكيان الخلقى ، فباعوا وطنهم ، وغدروا بجيشهم من أجل ذهب براق أعمى عيونهم وأمات ضمائرهم ، من أجل أحقاد شخصية أو بسبب الاتقياد الأعمى للعدو دون تقدير .

وأشهرهم الأميرالاي على يوسف الشهير « بنخنفس » .

والقائمقام عبد الرحمن حسن .

والأمير الای أحمد عبد الغفار مع أنه كان فى وقت مامن غلاة الثأرىن ،  
وأول الحاضرىن من آلاى الفرسان فى میدان عابدىن فى مظاهرة  
٩ من سبتمبر .

ولكن الحق . . والإغراء . . والضعف قد قامت بدورها وأظهرت  
المحنة معادن الرجال . . وحكم التاريخ حكمه على كل بما استحق .  
وكان ذلك الدرس الخالد ، وبقيت مصر — فى جواهرها — وعلى  
حقيقتها أمة ترفض الضيم ، وتستنكر المذلة وتأبى الهوان .



## عمليات الميدان الشرقى

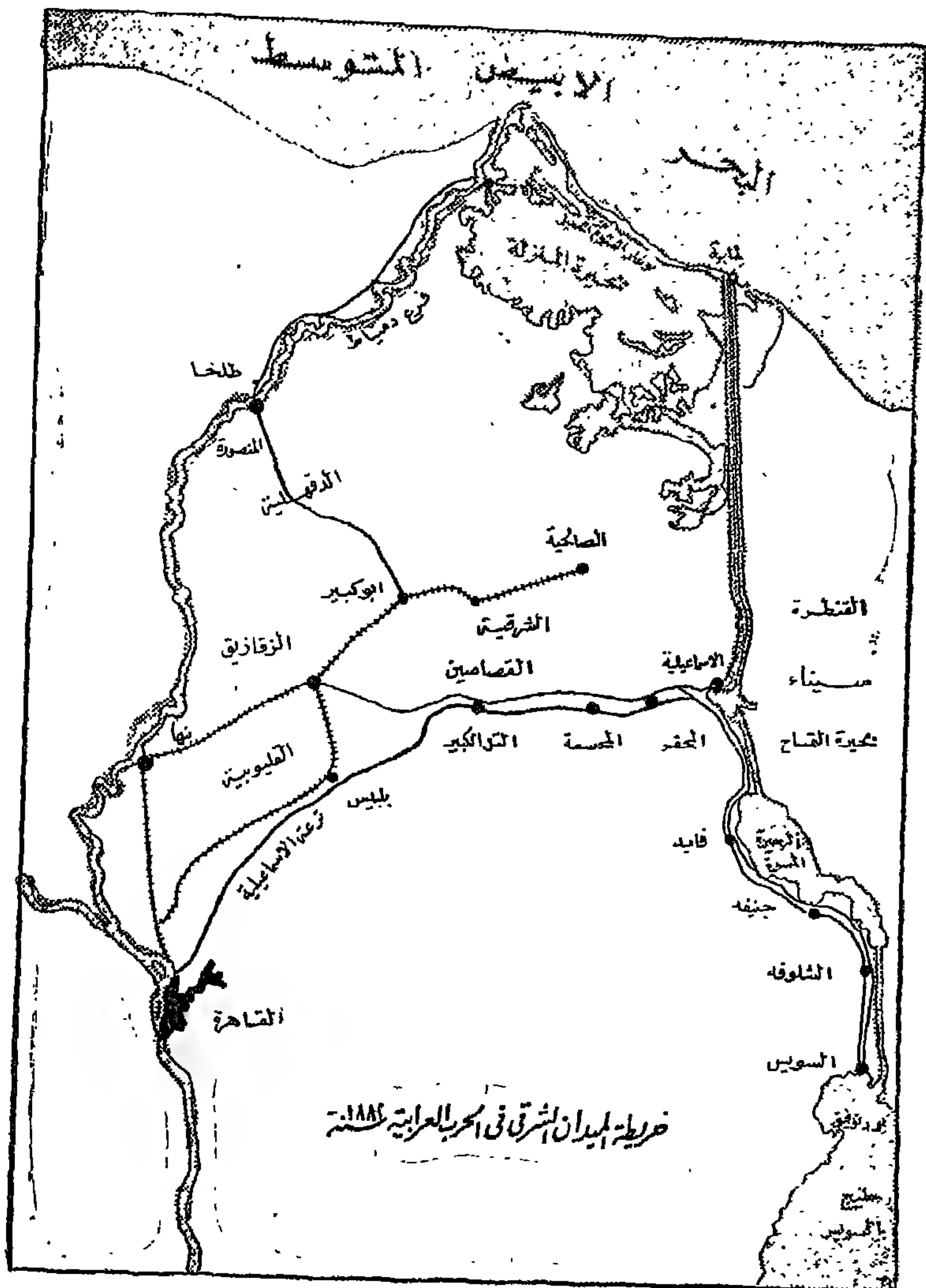
وجه الانجليز نشاطهم إلى هذا الميدان منذ منتصف شهر يوليو حيث اقتحمت بعض السفن البريطانية القناة واحتلت مدينة السويس في ٢ من أغسطس، وفي ١٩ من أغسطس تحرك الأسطول الانجليزى من الاسكندرية بقيادة الأميرال سيمور وكان عبارة عن ٨ مدرعات و ١٨ سفينة نقل الحملة بقيادة ولسلى فوصلت بور سعيد صباح ٢٠ من أغسطس .

### عمليات ٢٠ من أغسطس :

- ١ - احتلت كتيبة من الأسطول مدينة بور سعيد دون مقاومة .
- ٢ - احتل الجيش الانجليزى مدينتى القنطرة والاسماعيلية .
- ٣ - احتل شاة الأسطول الشلوفة فى شمال السويس .
- ٤ - منع الأسطول مرور أية باخرة تجارية فى القناة ( احتجت شركة القناة على خرق حرمة القناة ) .

### عمليات ٢١ من أغسطس :

- ١ - وصل الجنرال ولسلى إلى الاسماعيلية يصحبه الأميرال سيمور .
- ٢ - وصل المدد من الهند إلى السويس .



### عمليات ٢٢ من أغسطس :

١ - وضع الانجليز أيديهم على سكة الاسماعيلية - السويس - الحديدية .

٢ - وضع الانجليز أيديهم على ترعة المياه العذبة بين المدينتين .

٣ - سمح الانجليز للسفن التجارية بالمرور فى القناة .

وهكذا اتخذ الانجليز من القناة - وهم الذين كانوا يثيرون الدول من تهديد عرابى لسلامتها - قاعدة حرية سهلت الزحف على مصر إذ لولاها ما استطاعوا أن يصلوا من الاسكندرية إلى الاسماعيلية فى ١٤ ساعة . . وما استطاعوا أن يشقوا الطريق إلى العاصمة بهذه السهولة ولو مدت القناة ما حدث هذا كله .

### عمليات ٢٤ من أغسطس :

هاجم الانجليز نفيسة واستولوا عليها (وهى نقطة تفرع ترعة الاسماعيلية إلى بورسعيد والسويس) .

وقد سد العرايون ترعة الاسماعيلية عند « المحفر » لمنعوا ورود المياه إلى الاسماعيلية . . فهاجمهم ولسلى واحتلها بمجنوده .

### عمليات ٢٥ من أغسطس :

١ - زحف الانجليز على « المسخوطة » ، واستولوا عليها بعد معركة عنيفة وكانت القوات المصرية بقيادة الفريق راشد حسنى .

٢ - وقع ( محمود فهمى ) رئيس أركان حرب الجيش المصرى

أسيراً في يد دورية بريطانية على حين كان يعتلى إحدى القباب مرتدياً  
ملابسه الملكية ، فكان أسره أكبر ضربة أصابت القوات المصرية من  
الناحية المعنوية .

ويتهمه عرابي في مذكراته بأنه أراد تسليم نفسه للعدو كي يخفف  
عنه الحديو الجزاء وذلك عندما وصل إلى علمه توقع صدور منشور  
العصيان .

٣ — استولى الانجليز على المحسمة ( على مسافة ٢٤ كم من التل  
الكبير ) وقد غنم الانجليز ٧ مدافع كروب وكية كبيرة من البنادق  
وقطار ذخيرة .

#### عمليات ٢٦ من أغسطس :

استولى الجيش الانجليزي على القصاصين دون مقاومة تذكر ( على  
مسافة ٢٥ كم من التل الكبير ) .

#### عرابي في الميدان الشرقي :

رأى عرابي — نظراً لدقة الموقف — الانتقال إلى الميدان الشرقي  
( التل الكبير ) حيث تشاور هو وأصحابه في الموقف فتقرر اتخاذ خطة  
الهجوم في الحال ، وكان قد وصل في هذا الوقت اللواء على فهمي يقود  
الآلأى الأول المشاة والأميرالآى أحمد عبد الغفار يقود آلأى الفرسان ،  
كما وصلت أورطتان من العساكر السودانية وهما من حامية دمياط .

أما قوات الجيش الانجليزي فكانت موزعة على النحو الآتي :

الجنرال ( لو ) قائد الفرسان في المحسمة .

الجنرال ( وبليس ) في المسخوطة .

والجنرال ( جراهام ) في القصاصين .

### معركة القصاصين الأولى :

في ٢٨ من أغسطس هاجم المصريون مواقع الانجليز في القصاصين بقيادة الفريق راشد حسنى هجوماً شديداً واستولوا على المواقع الأمامية للانجليز وأجلوا العدو منها إلا أن الانجليز عادوا فقاموا بهجوم مضاد بقيادة الجنرال ( لو ) فاستردوا مواقعهم بعد قتال شديد من الجانبين . . وخسر الانجليز في الموقعة ٨ قتلى و ٦١ جريحاً منهم عشرة ضباط . . وتعرف هذه الواقعة بمعركة القصاصين .

### معركة القصاصين الأخرى :

توقف الانجليز وهم الذين كانوا يوالون الزحف . . وفي ٩ من سبتمبر عاود المصريون الهجوم بقيادة الفريق راشد حسنى ، يريدون استرداد القصاصين للمرة الثانية وكان مقرراً أن يباغت اللواء البارودى العدو عند الفجر من ناحية الصالحية . . وعند منتصف الليل بدأ راشد حسنى الهجوم ، إلا أن العدو لم يباغت فقد كان على علم بكل تفاصيل المعركة . . لقد سلمت خطة الجيش المصرى بأكامها إلى الانجليز قبل بدء المعركة بوساطة الأميرالاي الحائن على يومسف ( الشهير بخنفس ) .



الفريق راشد حسني ( أبو شاذل فضة )  
بطل معركة القصاصين

اشتد القتال من الجانبين ، وكاد المصريون يوقعون الهزيمة بالجيش  
الانجليزى بل كاد الدوق ( أوف كنت ) وكان مرافقاً للحملة يقع أسيراً  
وتلفتوا ينتظرون دخول البارودى فى الميدان حتى يشيع الارتباك فى  
صفوف العدو إلا أنه لم يصل فى الموعد المحدد حيث كان الانجليز قد رصدوا  
له مدفعيتهم — إذ كانوا على علم بالخطأ — فحال ذلك بينه وبين تحقيق  
غرضه كما أضله الأعراب عن وجهته فى الصحراء .

كل هذا والمصريين يحاربون بقوة وحماس ، وفى هذا الوقت العسير  
حدثت مفاجأة لم تكن فى الحسبان . .

لقد أفرخت الحيانة، ونجحت الدسائس وأثمرت الرشوة والوعود فى إغراء  
بعض الرجال ( بإذاعة منشور إعلان عصيان عرابى ) بالآستانة فى ٦ من  
سبتمبر ، ولقد تلقف الانجليز هذا القرار وطبعوا منه مئات الألوف  
فى صحيفة (الجوائب) وعهد الخديو إلى سلطان ( باشا ) بتوزيع آلاف النسخ  
منه على ضباط الجيش والعمد والأعيان والعربان .

كان لهذا المنشور أثر أشد خطورة من «واجهة الجيش الانجليزى  
ذاته . . حيث سقطت حجة عرابى فى أنه المدافع عن حقوق الخليفة ،  
فضعفت الروح المعنوية بين رجال الجيش وفى نفوس بعض أفراد  
الشعب .

وزاد الموقف حرجاً بخروج البطل راشد حسنى من المعركة بعد إصابته  
فى قدمه مما كان له أسوأ الأثر فى صفوف المصريين الذين حاولوا استرجاع

مواقعهم بقيادة على فهمى فلم يتمكنوا ، حيث خرج هو الآخر جريحاً  
فى ساقه . وتعتبر موقعة القصاصين الثانية أعظم ما وصلت إليه جهود  
المصريين فى مغالبة العدو .

بقى أن نقول : إنه كان على عرابى أن يشترك فى هذه المعركة ولو فى  
مؤخرة الجيش فجموده فى التل الكبير لم يتح الاستفادة من استخدام  
القوات المقاتلة فى تلك اللحظات الحاسمة .



## معركة النيل الكبير

### ميدان المعركة :

كانت مواقع الجيش المصرى على هضبة ترتفع ثلاثين مترا من خط السكة الحديدية تمتد بانحدار خفيف نحو الصالحية والقصاصين ، والجهة الشمالية لهذه المنطقة أرض رملية مكشوفة ، أما الجنوبية فهي أرض زراعية تخرقها الترع والقنوات وغير صالحة لسير حملات الجنود . . وأنشئت خطوط الدفاع لمسافة ستة كيلومترات من الجنوب إلى الشمال حيث تبدأ السكة الحديدية ، ونحوى هذه المواقع خنادق بعرض يتردد من مترين إلى ثلاثة أمتار وبعمق متر أو مترين ، وخلف الخطوط الأمامية خطوط أخرى تمتد إلى المعسكر الذى على السكة الحديدية والذى يعد عن معسكر العدو بالقصاصين بمسافة حوالى خمسة عشر كم .

### عيوب المواقع :

- ١ — لم تكن هذه الخطوط كافية للدفاع نظراً لأنها أقيمت بسرعة كما أنها لم تكن قد تم إعدادها عند بدء المعركة .
- ٢ — لم يكن بها العدد الكافى من القوات لصد هجوم العدو .

### القوات :

كانت نحو اثني عشر ألف جندي و ٦٥ مدفعا ، وإن كان قد عاونها بضعة آلاف أخرى من الأعراب والحقراء والجنود غير النظاميين الذين لم يسبق لبعضهم التدريب على إطلاق النار .

### القيادة :

استدعى عرابي اللواء ( على الروبي ) قائد لواء مريوط ، وأمسد إليه



قيادة المعركة ولم يصل الروبي إلى منطقة القتال إلا يوم ١١ من سبتمبر أى قبل المعركة بأربع وعشرين ساعة ، ولم تكن هذه بطبيعة الحال بالمدة الكافية لاكتشاف المواقع الصالحة للدفاع ، أو وضع الخطة الناجحة .. ولا سيما أنه لم يكن على قدر كاف من القدرة الحربية .

وقبل أن نبدأ في الحديث عن

سير المعركة نرى أن هناك بعض استدعى من مريوط للدفاع عن التل الكبير اللواء على الروبي التصرفات التي تؤخذ على عرابي ، وهي :

أولا : كان عليه أن يتولى قيادة المعركة حيث كان لديه الوقت الكافي

لتعرف مواقع القتال بالقياس إلى اللواء على الروبي .

ثانيا : كان من الواجب استدعاء حامية دمياط وكان جنودها من خيرة الجنود المدربين فقد بدأت الحرب وانتهت دون أن تشترك هذه الحامية في القتال .

### العوامل المؤثرة في المعركة :

١ — كانت هزيمة الجيش المصري في موقعة القصاصين الأخيرة ضربة شديدة كشفت الموقف الحربي ودلت على ضعف الجهة المصرية أمام الهجوم الإنجليزي ، وخاصة أن قوات العرايين قد خسرت أبسل قوادها ( راشد حسني ) ( أبو شنب فضة ) و ( علي فهمي الديب ) فبدأ الاضطراب على قادة العرايين حتى بدأ اليأس يتسرب إلى قلوبهم .

٢ — بدأت المعركة وقد أحاطت بجيش مصر عوامل الخيانة والعدو من كل جانب ، فالخديو يبارك هجوم الإنجليز بمنشور جاء فيه :  
« ليكن معلوماً عند السلطات الملكية والعسكرية في منطقة قناة السويس أن أميرال الأسطول الإنجليزي وقائد الجيوش البريطانية العام إنما أتيا إلى مصر لإعادة الأمن والنظام إليها ومن ثم سمحنا لهما باحتلال جميع الأمكنة التي يريدان احتلالها ومن خالف أمرنا هذا ينزل به أشد العقاب » . .

والسلطان خليفة المسلمين لم تفرخ دسائسه إلا في هذا الوقت العصيب ليخرج بمنشور يعلن فيه أن كل من يقف في وجه الإنجليز يعتبر خارجا على الدين . .

كما تفشت الخيانة في صفوف الجيش نتيجة ضعف الروح المعنوية وشراء  
الذمم وإغراء الذين يكفون عن المقاومة بالعفو بعد أن ظهرت بوادر  
الغلبة للإنجليز . . كما كان البدو طابورا خامسا للعدو . . يرشدونه لمواقع  
الجيش المصرى .

### تضيرات الهجوم :

١ — اختار ولسلى الهجوم من جهة الشمال .. ولو أنه طريق أطول  
من الطريق الجنوبي وفي أرض رملية مكشوفة فإنه يتفادى الترع  
والقنوات التى تعترض تقدم القوات من الجهة الجنوبية التى لا تصلح  
لسير الحملات .

٢ — كما أنه قرر الزحف فى أثناء الليل كي يتقى أشعة الشمس المحرقة  
حيث إن تقدم قواته كان عبر الصحراء .

٣ — ولكي يتحقق المفاجأة قرر أن يكون الهجوم ليلا ، وأصدر  
أوامره بإطفاء كل الأنوار إطفاء تاما فى أثناء السير .

٤ — ساعد على تحقيق المفاجأة أن المصريين لم يقيموا الدوريات  
أمام الاستحكامات ولذلك اختار الليل موعداً للقيام بهجومه .

٥ — استعان فى أثناء سيره بالبدو الذين أرشدوه إلى المعسكر  
المصرى وإلى مواقع المصريين .

### سير المعركة :

وفى منتصف الساعة الثانية بعد منتصف ليل يوم ١٢ من سبتمبر

بدأ ولسلى زحفه فى خمسة عشر ألف جندى وستين مدفعا ( ١١٠٠٠ )  
من المشاة و ٢٠٠٠ من المدفعية و ٢٠٠٠ من الفرسان يعاونهم بعض  
قوات المهندسين وعمال الاشارة ) .

وكان يتقدم قواته بعض ضباط الأسطول الذين نمرسوا على الاسترشاد  
بالنجوم فى الناطق الصحراوية ، إلا أنهم لم يستطيعوا الاهتداء إلى مسالك  
الصحراء التى تقود إلى المعسكر المصرى لولا بعض البدو من عربان الهنادى  
ممن اتخذهم الإنجليز مرشدين جواسيس .

#### خيانة السوارى :

ظل الجيش الانجليزى يوالى زحفه مسافة خمسة عشر كم دون أن  
يلقى أية مقاومة .

وقد كان فى المقدمة سلاح السوارى الذى استمال « سلطان باشا »  
قائده الأميرالاي أحمد عبد الغفار تحت ضغط أسرته فى تلا ، فقد أرسل  
الأميرالاي على يوسف الشهير بخنفس قائد السوارى فى المقدمة إلى  
عربى — والجيش الانجليزى يتقدم — يخبره أن الإنجليز لن يتحركوا  
فى ذلك اليوم . . فركن الجيش إلى الراحة فى الوقت الذى كان العدو  
قد وصل فيه إلى القطاع الشرقى لمواقع الجيش المصرى والذى كان مكلفا  
بحراسته الآلاى الثانى السوارى بقيادة القائمقام عبد الرحمن حسن فاتجه  
بفرقة إلى الشمال لترك الجيش الانجليزى يمر فى أمان . . ويقال إن خيانة  
هذا نفر لم تقف عند هذا الحد ، بل وضعت المصاييح للعدو على المسالك  
ليسترشد بها وليخترقها فى يسر !



## معركة التل الكبير « مباغتة الجنود المصريين »

### مفاجأة المعسكر المصرى :

والى الإنجليز الزحف حتى مطلع الفجر إلى أن صارت قواتهم على مسافة ٢٥٠ ياردة من التل الكبير ففاجئوا المصريين بالهجوم حيث كان الجنود نائمين بعد أن ركنوا إلى الراحة ، ولم يستيقظوا إلا على إطلاق النار فى موقعهم عندما وجدوا العدو يحيط بالمعسكر على شكل نصف دائرة . . ولم يلبث ولسلى أن أمر باقتحام الاستحكامات الأمامية فاستولى عليها الإنجليز ، وخسروا فى هذه العملية نحو مائتين من الجنود . . ثم تابعوا الهجوم على خط الاستحكامات الثانى واستولوا عليه أيضاً ، وقد تمكنت إحدى الكتائب من التوغل داخل المواقع ، وفشكت بنادقها بالمصريين فتكا ذريعا ، كما أهدق الجنرال « لو » بميسرة المصريين بقصد الاستيلاء على محطة التل الكبير التى وقعت فى يديه ، وأحاط الإنجليز بالمعسكر المصرى من كل جانب حتى استولى الذعر على الجنود فالتقوا بالأسلحة ولاذوا بالفرار ..

## أبطال :

ولم ينخل الميدان وسط هذه المحنة من نفر من المصريين حنظورا شرف قومهم فقد ثبت للدفاع آلايان من السودانيين بقيادة الأير الای محمد عبيد ( بطل الهجوم على قصر النيل ) الذى ظل يقاتل قتالا شديداً حتى استشهد هو ومعظم جنوده

أما المدفعية فقد أصلت الإنجليز ناراً حامية بقيادة اليوزباشى حسن رضوان ، الذى ظل صامداً حتى حمل إلى ولسلى فسلم له سيفه احتراماً لبسالته . وكان جلال هذا العمل يحو من النفوس شيئاً مما تركته خيانة خنفس ومن هذا حدوه .

بقى أن نقول أن بعض المؤرخين من كتاب الاحتلال غاوا حين زعموا أن الانجليز فاجأوا عرابى وهو فى حلقة ذكر بين جنوده ! ولكن ما قصد تلاميذ دنلوب إلا أن تغفل الحيانة فى هزيمة عرابى !

## الهزيمة :

لم تدم المعركة أكثر من نصف ساعة لم يقاتل فيها سوى ٣٠٠٠ جندى وضابط استشهد أكثر من نصفهم حيث بلغت خسائر المصريين حوالى الألفين فى حين أن خسائر الانجليز تكاد تكون أقل من المائة منهم ، ضباط ٤٠٢ جريحاً ، وقد غنم الانجليز أسلحة وذخائر ومهمات الجيش المصرى أما عرابى فحين رأى الحيانة تطبق عليه والجند وقد اتابهم الدعر ركب

حصانه ومعه عبد الله نديم وأسرع بالعودة حتى أدركا قطاراً عند الزقازيق،  
فوصلا إلى القاهرة عصراً .

أما عن القاهرة وعن القلق الذي ساد أنحاءها . فإنها كانت تعتقد  
حين وصل عرابي أنه قد وصل وهو يحمل رأس سيمور ولو علمت،  
الحقيقة لعرفت أن مصر قد ارتدت في تلك الساعة حلة أرجوانية من نسج  
الاستعمار وبذلك تمت المأساة ! ..





حسن رضوان  
ردوا له سيقه

## يوم الاحتلال

باتت القاهرة في ذلك اليوم في قلق عظيم .. فالعامة والعلماء يطوفون بالشوارع يصيحون بالدعاء والتكبير .. والناس جميعاً يروحون ويغدون في انتظار أخبار الموقعة الفاصلة .. وحكماء المدينة ابراهيم بك فوزى لا يفتقر لحظة عن الطواف في الميادين والأحياء لمنع أى هجوم للرعاع والدهماء على المتاجر والأوربيين .. والمجلس العالى الذى كان قائماً بإدارة الحكم في البلاد ظل مجتمعاً طيلة النهار دون أن يتلقى خبراً حتى ماورده القلق .. ولازم يعقوب سامى ( باشا ) وكيل وزارة الحرية مكتب التلغراف دون أن يكشف أحداً بآخر الأنباء إلى أن أخبر الحاضرين أن ( عرابى ) قادم على عجل إلى العاصمة .

وصل عرابى ظهر ١٤ من سبتمبر في قطار صادفه عند الزقازيق، منهوك القوى يصحبه اللواء على الروبى ، وجلس على مقعده وعلائم الاضطراب بادية عليه ، وظل صامتاً لا يتكلم .. فأيقن المجلس أنها الهزيمة لا محالة ..

وأخذ عرابى يشرح أسباب الهزيمة ثم أضاف أن في الإمكان درءها عن العاصمة .. وأن الأمل مازال قويا .. فهناك حامية القاهرة في القلعة وحامية دمياط التى لم تشترك في القتال وقوات كفر الدوار ، فثار في

وجهه بعض الأعضاء قائلين : ألم تكف هزيمة التل الكبير لتضيف إليها  
تدمير القاهرة التي لا تحتل مدافع الإنجليز ؟

وأخذ الأعضاء يتصامحون وتشاور المجلس : أيصير تسليم القاهرة  
للإنجليز أم يصير الدفاع عنها .. ؟

واختلفت الآراء وتشعبت الأفكار .. وكاد الرأي بالتسليم يغلب  
حيث دب اليأس في النفوس بعد هزيمة الميدان الشرقي ، لولا أن وقف  
الأمير إبراهيم أحمد ( باشا ) ابن عم الخديو وكان نصيراً قوياً للثورة فحث  
الحاضرين على الاستمرار في المقاومة وأخذ يث روح الكفاح قائلاً :  
إن وسائل الدفاع متوافرة والواجب هو الدفاع مادامت فينا بقية .

وعاد المجلس وأمن على كلام الأمير .. واستقر الرأي على إنشاء خط  
دفاعي في ضواحي العاصمة وكان من الممكن الثبات لو أن النفوس ظلت  
مؤهنة وبقيت السواعد قوية .. وكانت القيادة حازمة .. لقد أوقف من  
قبل أهالي القاهرة وحدهم بزعامة السيد عمر مكرم جحافل الفرنسيين  
بقيادة بوناپرت أعظم قادة التاريخ . مع أن أسلحتهم في الدفاع لم تكن  
سوى البنادق والمراوات والتايريس على حين أن القوات الزاحفة في تلك  
الحرب لم تكن سوى بضعة آلاف قليلة يمكن صدها .. وفي ذلك يقول  
( يوفيس )

« ولم يكن الجنرال ( لو ) يزحف في طريق آمنة . إذ لم يكن معه سوى  
عدة مئات من الجنود ، وكانت أمامه مدينة أهلة بالسكان تدافع عنها حامية  
كبيرة ترابط في العباسية والقلعة .. وأمامه ذكريات الثورات الهائلة التي

سببت المتاعب والخسائر الكبيرة لنابليون أثناء الحملة الفرنسية .. ولكن  
تردد الرؤساء العراقيين قد أخرجه من المأزق .



كما أن الجنرال ولسلي القائد  
العام للحملة الانجليزية لم يكن  
من القادة المشهود لهم بالكفاية  
الحربية ، بل كان قليل الحنكة  
والدراية .. فشل فشلا كبيرا في  
حرب البوير .. فعين قائداً لهذه  
الحملة ليعوض مافاته من نصر .

نهض عرابي إلى العباسية  
ومعه « المرعشلي باشا » كبير  
المهندسين الاستحكامات ورضاباشا  
قائد الحيلة .. وبعد تقدير الموقف

الجنرال ولسلي  
« لم يكن من القادة المشهود لهم  
بالكفاية الحربية »

تقرر اتخاذ الخط الدفاعي أمام المطرية شرقي عين شمس ..

وبعد معاينة الخط توجه الجميع إلى رئاسة الطوبجية حيث استعرض  
عرابي الجنود فلم يجد سوى عدد ضئيل ، كما لم يجد سوى مائة من جنود  
السوارى بقيادة الأميرالاي أحمد بك نير الذي قال لعرابي إنه على استعداد  
أن يقف في وجه العدو ويقاتل برجاله المائة حتى يموت معهم .

لقد اختفى الضباط والجنود .. ونزلت حامية كفر الدوار بقواتها إلى

المدن والقري دون أن تصل لها الأوامر بالتسريح .. وهنا أدرك عرابي أثر قرار السلطان بالعصيان ، وفعل المال بالنفوس .

وصور عرابي الموقف في هذه اللحظة فقال :

« فلما شاهدنا كل ذلك رأينا أن الأولى حقن الدماء ، وحفظ القاهرة من غوائل الخراب والدمار كما حصل في الاسكندرية مادامت المقاومة لم تجد نفعا ، وفضلنا تقديم أنفسنا فداء عن الأمة المصرية السيئة الحظ .. فرحنا إلى المجلس العالي ، وأخبرناه بما عن لنا ! »

. وبناء على ذلك قرر المجلس العالي إيفاد ( بطرس غالى باشا ) وكيل الحقانية ( ورءوف باشا ) ( وعلى الروبى باشا ) إلى الخديو لاستعطافه بعد امتكتاب عرابي التماسا بالعفو حيث قبل عدم الاستمرار في المقاومة — فقبل الخديو بشرط موافقة قائد الجيوش الانجليزية . وأمر على الفور باعتقال اللواء الروبى .

وبينما كان هذا يجرى .. كان الانجليز يجدون في أعقاب عرابي .. زاحفين على القاهرة في غير إبطاء .. فقد احتل الجيش الهندي الزقازيق دون مقاومة بقيادة الجنرال مكنوش بعد الاستيلاء على خمسة قطر مشحونة بالمؤن والذخيرة كما وصل الجنرال ( لو ) بالخيالة الإنجليزية إلى بلبس يوم الأربعاء ١٤ من سبتمبر حيث حجز البرقيات التي كان قد أرسلها عرابي من هناك بعد عودته إلى القاهرة يستنهض بها البلاد لمقاومة الزحف ..

ثم استأنف « لو » سيره قاصداً العاصمة بقوة لاتكاد تصل ألف جندي .. ولاتكاد تكفي المحافظة على الأمن بل لاتكفي لحراسة منشآت

هذه المدينة الكبيرة .. ولكن الروح التي لازمت القادة في معركة التل الكبير .. والخيانة التي فتت في عضد المحاربين . والضعف الذي اتاب الكثيرين — كل هذا جعل « لو » يستهين بمصر وبالمصريين ..

وجد الإنجليز باب العاصمة مفتوحاً ، فوصلوا العباسية في الساعة الرابعة من مساء الخميس ١٥ من سبتمبر ، وأرسل الجنرال « لو » إلى ( رضا باشا ) قائد الثكنات يطلب تجريد الجنود المصريين من أسلحتهم ، فاتصل هذا بعرايى الذى أمره بالكف عن المقاومة تقديراً للظروف ، وعرج القائد الإنجليزى بجنوده الخمسة على القلعة — وكأن الخائن الأميرالاي على يوسف خنفس — لعنه الله — لم يكفه كل الحيلانات السابقة من تسليم العدو خطة القصاصين ، ومن تقديم رقاب المصريين إلى سيوف الإنجليز في معركة التل الكبير ، فأبى إلا أن يسبقهم إلى القلعة ليكون له شرف السبق في تسليم مفاتيحها لأسياده الإنجليز !

.. وفي مساء احتل العدو معسكر قصر النيل .

كان عرايى في هذا الوقت في بيت اللواء على فهمى الديب الذى كان قد جرح في معركة القصاصين مجتمعاً باللواء طلبة عصمت قائد حامية كفر الدوار وسامى البارودى رئيس الوزراء .. ثم أقبل عليهم مسيو نينيه السويسرى صاحب كتاب ( أحمد عرايى ) فنصحهم بتسليم أنفسهم أسرى حرب للجيش البريطانى .. واستصوب عرايى رأيه خوفاً مما قد يحل به على يد توفيق .. أما البارودى فقد رفض هذا العرض قائلاً :

« إني لن أسلم نفسي بل إني ذاهب إلى منزلي . . فإن أرادوني  
فليقبضوا علي حيث يجدونني . . »



. . وبينما عرابي بهم بالخروج  
للتسليم نفسه وصلت برقية من اللواء  
البارودي قائد حامية الصالحية يطلب  
من عرابي الاستمرار في المقاومة  
وإذا أعياه الموقف فليقم بإغراق  
مديرتي التليوية والشرقية لتعطيل  
زحف الأعداء . . ولكن (عرابي)  
أمره بالتسليم .

محمود سامي البارودي  
« لن أسلم نفسي »

ذهب عرابي إلى بيته يصحبه  
طلبة عصمت ولبس رداءه الرسمي

واتشح بسيفه . . وتوجه الاثنان في عربة إلى ثكنات العباسية عصر يوم الجمعة  
حيث جرى بهما إلى الجنرال لو فسلما سيفهما إليه . فبادرها بقوله :  
« هل تقبلا أن تكونا أسرى حرب لجلالة الملكة ؟ »  
. . فأجاب عرابي :

« نحن ما حاربنا إلا لندافع عن شرف بلادنا . . وإن كنا قد كفنا  
عن القتال فلتقتنا في شرف الأمة الإنجليزية . . »  
. . وعلى هذا سلم عرابي سيفه للجنرال « لو » الذي أمر باعتقاله  
واعتقال طلبة عصمت وإيداعهما إحدى الثكنات .

.. وبهذا سلم الجميع عدا ( عبد العال حلمى ) أحد زعماء الثورة  
الذى اعتصم فى حصن دمياط وأراد أن يقوم بحركة عدائية لولا أن  
نصحه بعض الضباط فسلم .

.. وفى الوقت الذى نزل فيه عرابى سجيناً كان الجنرال ولسلى قائد  
الحملة الانجليزية فى طريقه إلى قصر عايدىن ومعه ساطان « باشا » نائباً  
عن الخديو ، وعندما رأى الأهالى الإنجليز بدخولن القصر بقبعاتهم  
البيضاء وشواربهم الصفراء أثار هذا شعورهم فخرج سكان الأحياء الوطنية :  
الحسينية ، وباب الشعرية ، والسيدة زينب بالعصى والمراوات يقصدون  
مقاومة الغزاة ، ولكن محافظ القاهرة رأى فى هذا عملاً لا طائل تحته .  
فردهم حتى لا يحدث احتكاك بين الإنجليز والأهلىن .

وبهذا أسدل الستار على قصة كفاح هذه الثورة . . ولبست مصر  
السواد حداداً على الحرية التى فقدتها أبنائها . . وامتد الخنجر ليطعن  
بصر فى الصميم .



## موكب الحراب

سقطت العاصمة وخمدت الثورة ، وخلت المدينة من جند مصر . . فقد ألغى توفيق الجيش بحجة قلم . . وعاد الفلاحون الذين قدموا لمناصرة الثورة إلى قراهم ، وقلوبهم تنزى أسى وألماً . . وانتظر كل حر شريف ساعة الانتقام . . ولم يبق ركن من البلاد إلا وقد خيم عليه ظلام قائم رهيب .

وهناك في الإسكندرية خرج توفيق من حماية الأسطول . . ولم يجرؤ أن يدخل العاصمة حتى سم تسليم المعادل . . وحدد يوم ٢٦ من سبتمبر موعداً لعودته إلى القاهرة التي ناصرت ( عرابي ) . . ولم يطمئن الحديو أن يعود سالماً إلى قصره إلا بعد أن أصبحت المدينة تعج بالحراب الإنجليزية . لم ير المواطنون على جانبي الشوارع في ذلك اليوم جنودهم المصريين والسودانيين ، وإنما رأوا والاشتمزاز يذهل نفوسهم والأسى يعتصر قلوبهم جنوداً حمر الوجوه بقبعات بيضاء عالية تكاد تحجب أسلحتهم المشرعة عن العيون !

وزينت المحطة بالأعلام ، وبدأ كل شيء في هذا اليوم وقد تجلجل بالسواد . وعلقت بالقهر الرايات في الشرفات والمنازل ، وإن كانت الأبصار قد ارتدت خاسئة عندما رأت بين الهلال والنجوم رايات حمراً هي رمز جيش الاحتلال . وبين أفاريز المحطة ودهاليزها تجمع الحونة الذين تسابقوا إلى بيع

الوطن وظهرت وجوه خرجت من الجحور . . كانت قد اختبأت قبيل اشتعال الثورة وعند إعلان الكفاح . . أرسل توفيق إلى معظمهم في مصايفهم في أوروبا ، يستدعيهم على عجل ، عندما دنس الغزاة أرض الوطن فجمع الاحتلال شتاتهم وألف الذل بين قلوبهم !

وصل القطار الذى استقله الخديو من الإسكندرية فى منتصف الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم ، وبصحبه القنصل البريطانى المستر «مالت» ورجال الأسطول ، ونفر من الحاشية الخديوية ، وما إن لمست قدم توفيق إفرز العاصمة حتى تقدم رياض — وكان توفيق قد أسند إليه وزارة الداخلية هاتفا بأعلى صوته فى موجة من الفرح والسرور : « يعيش الخديو مؤيدا بالنصر والإجلال ! » وكأنه كان يعلن الشماعة فى الثوار المهزومين . . . ثم استقل الخديو وعلى فمه ابتسامة حائرة مركبة التى أحاطت بها كوكبة من الفرسان الإنجليز على صهوات جيادهم ، تتبعها عربات النظار تبحر أذيال الذل والعار ، وتحرك الموكب يتهادى بين صفين من حراب الإنجليز حتى ظهرت عربة الخديو الذهبية فيها هو ذا توفيق وبجانبه دوق كنت نجل ملكة الإنجليز ، وكان ضمن ضباط الحملة وجلس أمامهما الجنرال ولسلى قائد جيش الاحتلال والأيرال ميعور قائد الأساطيل . . كما لمح الناس فى المؤخرة عربة تجاور فيها شريف ورياض ، كان الأول يسكى ، وكان الآخر يتقسم !

وامتولى على جموع المشاهدين صمت كصمت القبور قطعه عزف الموسيقى بالنشيد الإنجليزى عندما وصل الموكب إلى ميدان عابدين . . فكان هذا

بمشابة إعلان للناس عن التغيير الجديد الذى طرأ على البلاد . . فأطرق  
الناس حزنا وخزيا وأحس كل مصرى بالأسى والألم الدفين .

فماذا بعد تدنيس أرض الوطن بأقدام المحتلين . . ؟

وأى مروق بعد مباركة حاكم البلاد لأعداء البلاد ؟

ولكن كل ما كان يفكر فيه الحاكم ليس دفع النذل أو طرد المحتل إنما  
كل همهم فى كيف يظفر برأس عرابى ، وكل جريرة الرجل أنه طالب بحقوق  
بلاده وحرية وطنه .

لم يكتف رياض بالسماحة فى حق مواطنيه بل أقام فى المساء مأدبة عشاء  
فاخرة تكريما لقائد الجيش الإنجليزى وضباطه . . وبعد العشاء وقف  
يشرب فى غير حياء — نخب ملكة الإنجليز والجيش البريطانى . . ووقف  
الجنرال ولسلى يشرب نخب الخديو ورياض !

وتسابق الخونة فى إرضاء السيد الجديد ، ولم يكن هو « توفيقا »  
الذى لم يعد له من السيادة سوى مظهرها الكاذب :

موسيقى تصدح أمام قصره . . وحرس يحيط به . وألقاب زائفة  
تضاف إلى اسمه ، وأوسمة تزين صدره . . أما السيادة فللإنجليز . . يدلك  
على ذلك ما جاء بمذكرة اللورد « جرانفيل » وزير الخارجية إلى معتمد  
إنجلترا الجديد السير « افلن بارنج » :

« يجب عند البحث فى المسائل المهمة الخاصة بسلامة مصر وإدارتها أن  
تتبع نصائح حكومة جلالة الملكة ما دام « الاحتلال المؤقت » مستمرا . .



رباض باشا  
شرب نخب الاحتلال

وعلى الوزراء والمديرين تنفيذ هذه النصائح .. وإلا أقيلوهم من وظائفهم !»  
وهنا بدأ الأذنان والأذيال والمرزقة يولون وجوههم قبل من أصبح له  
السلطان فقاد سلطان ( باشا ) ومعه أحمد السيوفى مجموعة من المرتشين  
والخونة والملوثين والمارقين إلى رياض يبلغه أن هذه الوفود تريد أن تقدم  
هدايا فاخرة إلى قواد جيش الاحتلال شكراً لهم على إنقاذ البلاد من غوائل  
الفتنة ، وكان نصيب ولسلى بطل مذبحه التل الكبير سيفاً من الذهب  
الخالص . . . وسيمور مخرب الاسكندرية طنبجة من الماس . . . ورد الانجليز  
على الفور الجليل بالإنعام على سلطان بوسامى سان ميشيل وسان جورج  
مكافأة له على ما بذله فى خدمة الجيش البريطانى !

وفى اليوم التالى جارى توفيق أسياده الإنجليز فأنعم على سلطان بالوسام  
المجيدى وعشرة آلاف جنيه ذهباً لازيف فيها جزاء له على بث الخيانة  
فى صفوف المصريين !

وكأن هذه المكافآت السخية كانت حافزاً لكى يجدد سلطان نشاطه ،  
فأمر بإلقاء القبض على من شاء . . .

وفغرت السجون أفواها لزعماء الثورة وأنصار الحرية ، وضمت  
جدرانها حسن الشريعى ( باشا ) وزير الأوقاف ، وعبد الله فكرى ( باشا )  
وزير المعارف لاستنكارهما انضمام توفيق إلى الإنجليز ، وشيخ الإسلام  
الشيخ الامببى لاعلانه مروق الخديو من الدين ، وصفرة العلماء وعلى  
رأسهم الامام محمد عبده والشيخ العدوى والضباط فوق رتبة البكباشى ..  
حتى بلغ المقبوض عليهم أكثر من تسعة وعشرين ألفاً ، وخرج ضعاف

النفوس كالخنافس يسعون في الظلام بالوقية والوشاية وأحس كل المصريين بالسلطات تبطش بهم فلجأ الناس إلى التذلل والنفاق ! وانكش السواد ولم يعد أحد يرضى إلا أن يعيش بعيداً عن هذا المحيط المسموم الذى توارت فيه العزة القومية . . وهوت فيه الأخلاق إلى الحضيض . .

ولم تكف يد البطش عن التنكيل بالأحرار داخل الديار ، بل تعدت الحدود تحاول القبض على كل من لاذ بالفرار خارجها خشية الاضطهاد والتعذيب ، حتى تمكنت من وضع يدها على اثنين من كبار الثائرين هما السيد حسن موسى العقاد والقائم مقام سايجان صامى ، وكانا قد تمكنا من الهرب على إحدى السفن إلى كريت ولكن الخديو أرسل إلى الحكومة التركية يطلب تسليمهما فأجابته إلى مطلبه . . وكان الأول سر تجار القاهرة ، والآخر أحد قادة الوحدات في الدفاع عن الاسكندرية الذى أتهم بحرقها وقد حوكم وتقرر إعدامه .

. . ولم يتمكن من الاختفاء سوى السيد « عبد الله نديم » خطيب الثورة العراقية ، فترة طويلة إلى أن تم القبض عليه فى إحدى قرى مركز الصف .

وكما أن الاضطهاد والاعتقال والتشريد كان نصيب الأحرار ظهر الجزاء بعد ذلك فى المناصب والرتب بصورة واسعة للخونة والمارقين والجبناء كتعيين الشيخ المهدي شيخاً للأزهر بعد إقالة الشيخ الامباني الذى أثبت خيانة الخديو وإعادة عمر لطفى وزيراً للحرية وعلى مبارك

وزيراً للمعارف ونوبار نصير التدخل الأجنبي وزيراً للمالية ، بل أضفى  
حبك الخيانة الزكية المثلى عند الحاكم .

كان توفيق يتطلع إلى اليوم الذى يساق فيه عرابى وأصحابه إلى  
المشقة .. وكان من المقرر إعدام عرابى ولكن خشى الانجليز إثارة  
النفوس فأثروا سجنه ونفيه حتى يخففوا من حدة الشعور الوطنى ضدّهم ،  
ويحولوا القسط الأكبر من المقت والكراهة والازدراء إلى الخديو .  
واتفق توفيق مع شركائه الجدد على طريقة محاكمة زعماء الثورة فأبرق  
اللورد جرا نفيل متوعداً الحكومة الخديوية بالبلاغ التالى :

« إنه ليس هذا أوان ظهور الحكومة المصرية بمظهر الممانعة والمعارضة  
وإن استمرارها على هذا الاجراء يعرضها للفشل والخطر ، ولا تكون  
هذه النتيجة مقتصرة على الوزارة وحدها بل تتناول مركز الخديو نفسه ،  
وإذا لم تقبل الحكومة المصرية وجهة نظر الحكومة الانجليزية فلا يسع  
هذه إلا أن تتحمل تبعه ما يترتب على رفضها من النتائج السيئة بعد انقضاء  
ثمانية أيام من تبليغ هذا الانذار . . . »

.. وهنا انكشف الستار وزالت العشاوة عن عيني توفيق . .  
وسقط ادعاؤه بأن التدخل الأجنبي موقوف بقمع الثورة ، بل أدرك أن  
العزل قد يكون جزاءه أيضاً إذ هو جرؤ على معارضة أسياده .

فهذا هو ثمن الخيانة ! بل هذا هو أسلوب الاستعمار لايعنيه إرضاء  
العميل أو إذلاله بقدر مايعنيه تخدير الشعب وتهدة الخواطر !

## هذه الثورة في الميزان

تضاربت آراء المعاصرين ، واختلفت نظرة الكتاب في الثورة التي قادها أحمد عرابي بحجة أنها انتهت بالاحتلال . . وإن كان أحد لا يجرؤ — حتى الخصوم — أن ينال من وطنية هذا الزعيم الفلاح برغم قسوة الأقلام التي سخرت منه وجارت عليه فأطلقت الكثير من السحب حتى حجب الحقائق عن العيون .

فهل نسي أصحابنا الذين يرمون هذه الثورة بأنها قادتنا إلى الاحتلال — هل نسوا أننا كنا قبل نشوبها محتلين أيضاً من الأتراك ؟ وأنها لم تنحدر بنا من الاستقلال إلى احتلال ، بل انتقلت بنا من احتلال إلى احتلال . . فغرس فينا هذا التغير أو هذا الانتقال شيئاً لم نكن لنشعر به من قبل ، ألا وهو الكره والقتل لكل غاصب أو محتل — مهما كان — فهذا الشعور لم نكن نحس به من قبل !

أدركنا خلال هذه — الثورة — أن الحكم التركي احتلالاً أيضاً وأن الاحتلال واحد مهما تعددت صورته واختلفت أشكاله . . وبهذا حطمت الثورة العراية الفكرة التي استولت على عقولنا والتي كانت قد رسبت في نفوسنا من أن الوالي صاحب الحق في أن يحكمنا أو أن يملكنا حتى أضحت نظرتنا إلى السلطان عبد الحميد مثل نظرتنا إلى الملكة اليصابات إذ وضع



لنا أنه ليس هناك — بعد موقف الخليفة منا — كبير فرق بين حكومة  
جلالة الملكة في لندن وحكومة الخليفة في الآستانة . فكلتاها طامعة  
في بلادنا متطلعة إلى إزلالنا : هذه حكمتنا بالمدفع ، وتلك ضيعتنا باسم الدين !  
وهل لو لم يثر عرابي : أفكانت مصر تستطيع تجنب مؤامرة  
الاحتلال أم أن هذا الاحتلال كان واقعاً حتماً ؟

أغلب الظن أن المؤامرة كانت تخطو سريعا نحو خطتها المرسومة بعد  
إنشاء قناة السويس . . حتى لو لم يحارب عرابي لأنه لم يسع إلى هذا الحرب  
بل اضطر إليها اضطرارا وهي لم تكن حرباً بالمعنى الصحيح بل كانت  
ثورة وجهادا ، ثورة سلمية حرص فيها عرابي أن تظهر عادلة سلمية تؤمن  
بالشرف السياسى والرأى العالمى .

بل بدا عرابي فى كل مواقف الحرية محارباً مسلماً لإيمانه بأن الحق  
إذا أتى بالمسألة أفضل مما لو أتى بالسيف .

ففى الوقت الذى كانت المؤامرة الاستعمارية تسعى وتعدو لاستشارة  
عرابي حتى يخرج عن أسلوبه السلمى لا يجد سيعور من سبب يتعلل به  
ليضرب المدينة الوادعة بالأساطيل سوى مشاهدة بعض الترميمات فى إحدى  
القلاع . . وما فى هذا من خطورة على الأسطول الرابض فى البحر وطلب  
انتزاع المدافع فوراً من الحصون .

ولا يدع له عرابي الفرصة لتنفيذ المؤامرة فيبعث له قائد البحرية المصرية  
ليؤكد له النوايا المصرية الحسنة وعدم صحة الأخبار التى تشيع بأن تحصين  
الطوابى لإغراق الأسطول .

فزيد التهدة والتأكيدات المصرية السلمية من غضب ميمور .. فيسرع  
في توجيه الإنذار بضرب المدينة الوادعة مع إشراق الشمس في الصباح ..  
فماذا كان رد غرابي على هذا العمل الفاضح الشائن .. والتعنت  
الذي ليس له مثيل ؟ .

جمع قناصل الدول يشهدهم على حسن نية مصر .. وعرض على الحديو  
والحكومة مجتمعين موقفه من الإنذار .. فاجتمعت الكلمة على الرد  
على الإنذار بما يحفظ للأمة كرامتها وعزتها مع إظهار النوايا السلمية في  
بيان صدر غاية في الحكمة والوطنية :

« لم تفعل مصر شيئا يقضى بإرسال هذه الأساطيل المتجمعة .. ونحن  
هنا في بيتنا ووطننا .

— ومصر الحريصة على حقوقها وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم  
أى مدفع ولا أية طاية ، دون أن تذكره على ذلك بحكم السلاح .

فهى لذلك تحتج على بلاغكم وتحملكم مسئولية هجوم الأساطيل  
وإطلاق المدافع على بلد آمن ينعم بالسلام .

وأیضا تقرر مصر من باب المسألة قبول إنزال ثلاثة مدافع يختارها  
الأميرال .

ولن تجاوب المدفعية المصرية على مدافع الأسطول إلا بعد إطلاق  
الطلقة العاشرة » .

وهنا ينتهى البيان .

ومع هذا لم ينجل سيمور أو ماسته الاستعماريون من استباحة حرمة  
الشعوب على إشراقة الصباح !

فهل بعد كل هذه المسلمات دليل على أن الرجل كان يريد تجنب هذا  
التدخل كما كان لا يريد الحرب التي لم تكن متعادلة القوى . . . والتي  
تكاثر فيها خصومه وأعداؤه . . . والتي تألب فيها كل مارق ومستضعف  
على كل حر شريف !

ولماذا نحمل عرايا وحده هذه المسؤولية . . . مع أن الحديو نفسه  
وجميع الوزراء اتفقوا على هذا الرأي . . . واشتركوا في توقيع البيان !  
والغريب بعد هذا أن يأتي بعد ذلك من يقول : إنه ما كان لعراي  
أن يدخل الحرب . . . وكان عليه أن يأخذ الموقف بالهدوء والحكمة ؟  
. . . فأى منطق هذا ؟

أليس قبول الذل هو الاحتلال بعينه وهل الحكمة في أن نرى الذل  
فتقبله ، ونرضاه ؟ وهل أضحي الاستقلال استضافة الأساطيل  
ونزع السلاح ؟

ما أغنانا عن تسخيف حكمة هؤلاء من قول النائب الانجليزي  
ريتشارد في مجلس العموم مستنكرا موقف حكومته :

« أرى رجلا يحوم حول داري وعلامات العدوان بادية على وجهه . .  
وحين أعمد إلى إغلاق نوافذى وأبوابى . . يثور غضبا ويزعم أنني  
أهينه وأهدده ! »

حقاً مما يؤسف له . أن هناك من الأعداء من هم أرحم بهذا البلد من بعض أبنائه !

ويا ليت حكمة هؤلاء وقفت عند هذا الحد بل إنها تحمل ( عرابي ) عدم رأب الصدع بينه وبين الخديو .. وعدم العمل على تلافى هذا الخلاف . ولكن ما ذنب عرابي في هذا كله ؟

وماذا يكون التصرف مع حاكم ينزل في ضيافة الأسطول الذي انتهك حرمة وطنه .. ؟

وماذا يكون التصرف مع حاكم يستعدى الغاصب على وطنه .. ويعطيه الصك في تأديب أبنائه ؟

بل ماذا يكون التصرف مع حاكم يستنكر وقفة جيش مصر ضد الجيش الانجليزى فيدفع رئيس وزرائه ( راغب باشا ) ليستكتبه سيمور خطاباً غاية في المذلة والعار جاء فيه كل ما يندى الجبين ؟

« لى الشرف الرفيع أن أعلن لحضرتكم أن ( عرابي ) يشتغل الآن بإعداد وسائل الدفاع ، وذلك مخالفة لأوامر جناب الخديو . فكونوا إذن على علم بأن الخديو عزم على عزله .

فهو لذلك المسئول عما يحدث ، فأرجوكم أن تبلغوا حكومة جلالة الملكة هذه الرسالة » !

إذن فلم يكن هناك من تبجن حين يطلب عرابي من الخديو ووزرائه أن يتركوا أماكنهم في أيدي الأعداء ليكونوا في كفر الدوار للمشاورة في الموقف ولصد الغزاة !

ولم يخطيء عرابي حين عمل المراطنون ممثلين في أعيان البلاد وعلمائها وقادتها في تعطيل سلطة الخديو .

ولم يرتكب عرابي إثماً حين أجاج نار الثورة ضد الخديو ، وحين اتهمه بالمروق والخيانة عند ما بارك الحملة الإنجليزية بمنشوره الذي جاء فيه بالنص :

« ليكن معلوما عند السلطات الملكية والعسكرية أن أميرال الأسطول الإنجليزي وقائد الجيوش البريطانية العام إنما أتيا إلى مصر لإعادة الأمن والنظام إليها .. ومن ثم سمحنا لهما باحتلال جميع الأمكنة التي يريان في احتلالها ما يساعد على قمع العصيان ، ومن خالف أمرنا هذا ينزل به أشد العقاب » .

.. حقاً إنني لم أجد ما أرد به على هؤلاء الذين يتعمسكون بأطراف الحكمة عند الحكم على عرابي من قول نابليون :

« لكي نسوس المصريين يجب أن يكون هناك وسطاء بيننا وبينهم نقيمهم رؤساء عليهم ، وإلا أقاموا رؤساء هم فيما بينهم » .

ولقد أخذ الإنجليز بهذه النصيحة فاتخذوا من الخديو وسيطاً لتنفيذ سياستهم ، ومن هنا عادی الحركة الدستورية في البلاد ، والنهضة الفكرية فيها وجارى رغبات الأجانب حتى اتخذت منه الدولتان تكأة لمحاربة العرايين .

فمذكرة ٨ من يناير ، وحضور الأساطيل ، وقصة الاحتلال نفسها كانت كلها تعلل كل مرة بدعوى المحافظة على حقوق الخديو وحماية

العرش . ! ولقد زالت والحمد لله هذه الحجة المصطنعة ، ووقى الله البلاد تدخل الاستعمار تحت هذا الستار ، ولم تعد البلاد إلا معسكراً واحداً عند مجابهة الغاصب الطامع ، ولعل في حرب السويس إبان العدوان الثلاثي أبلغ دليل على ما نقول . . .

وإلى هنا نقف بجانب عرابي من خصومه الذين أرادوا أن ينالوا من مواقفه كي يسدلوا الستار على موقف المعسكر الآخر ، معسكر الخديو ومن سار في ركبه وركب الاستعمار .

ولكن المؤرخ الصادق عليه أيضاً أن يبرز نقط الضعف في هذه الثورة ، حتى نخرج بالدرس المستفاد — فما لاشك فيه أن هذه الثورة كان ينقصها ثبات القادة وصلابة الزعماء . . .

فالقائد كما نعلم روح الجيش ، والزعيم عنوان الشعب ، والزعامة تطبع الأمة بطابعها ، والقيادة تشرب الجنود بروحها ، ومواقف البطولة تثبت في الأمة روح التضحية ، ومواقف التسليم تقضي على روح المقاومة ، ولا شك أن ضعف المقاومة التي صادقتها الحملة الإنجليزية في الحرب العراقية يرجع بعضه إلى ضعف زعماء الثورة في أوقات الشدة إلى جانب عوامل الخيانة والعدر التي ساندت جيوش الاحتلال ، فقد استسلم معظمهم مع أن سبيل الكفاح كانت مفتوحة أمامهم . فاللواء محمود فهمي رئيس أركان حرب الجيش استسلم للعدو بمجرد أنه أشيع صدور قرار العصيان ، أو توقع صدوره ، وعرابي زعيم الثورة تقدم إلى حيث يسلم نفسه لعدوه . . .

إن حروب الثورات لابد أن تبرز فيها التضحية حتى ولو كان مآلها إلى الهزيمة . . فلهزيمة مع الشرف صفحة نثار ، في كفاح الأمة في سبيل حريتها ، والبسالة والتضحية هما الإطار الذي يزين هذا السجل الخالد . ولو أن ( عرابي ) قاتل حتى استشهد في التل الكبير لكان لهذه المعركة شأن آخر غير هذا الذي صارت إليه .

أما الخطأ الذي وقع فيه عرابي ، والذي كان سبباً كبيراً في الهزيمة فهو عدم موافقته على ردم القناة ، فلوردمت القناة ما استطاعت الحملة الإنجليزية أن تستولى على الاسماعيلية بالسرعة التي تمت بها ، لتتخذ منها قاعدة للزحف ، وما أدهكن القنات القادمة من الهند أن تتصل بالقنات المتجمعة في الاسكندرية ، وما تمكن الانجليز من اختراق الجهة الشرقية بمثل هذه السهولة . . بل كانت متضطر إلى عبور الصحراء حيث لا زاد ولا كلاً ولا ماء ، أو العبور خلال الدلتا حيث الترع والجسور والعقبات . . وكان موعد زحف الحملة في شهرى أغسطس وسبتمبر وهما في موسم الفيضان . وكان إحجام عرابي عن ردم القناة العامل الأكبر في الهزيمة . .

حقيقة إن هذا الاحجام جاء لا عن جهل بل عن خطأ في تقدير الموقف فنشأ عن إيمان عرابي بالشرف السياسى والرأى العام العالمى !

ولكن كانت أمام عرابي قبل الزحف على القناة الشواهد الثابتة على أن هذا الرأى العالمى يزيد القوى قوة ويسلب الضعيف ما يملك . . وأن خصومه الانجليز وضعوا سيامة الأمر الواقع نصب أعينهم ، من

ابتداء المؤامرة حتى نهايتها . . فلم يأنهوا بتلك الكلمة البراقة التي تسمى « النرف السياسى » وانتهكوا حرية مصر باحضار الأساطيل ثم بضرب الاسكندرية ثم باقتحام القناة . . ودلوا على أن النرف السياسى ليس إلا سرا با خادعا وتمويهها وبهتانها . .

فماذا فعل الرأى العالمى عندما ضربت الاسكندرية بقنابل الأسطول فى رائعة النهار ، ومؤتمر الدول منعقد بالآستانة ؟  
إنه لم يفعل شيئا !

ولم يفعل الرأى العام شيئا عندما اقتحم الأسطول القناة !  
كما يجب علينا ألا نقول -- بجانب هذه الحقائق العامة -- الحقائق العسكرية التي أخذت على عرابى . .

فإنه ظل جامداً فى التل الكبير ، ولم يشترك بقواته لمقاومة القوة التي كانت تحارب فى القصاصين ، والتي استطاعت أن تشعر بصلاية المقاومة المصرية أمام الجيوش الزاحفة

كما لم يكن للحركة العراية قلم مخبرات يستطلع أخبار الدول وأخبار العدو بل كان يعتمد على أفراد لا أمانة لهم ، وعلى نفر من الأعراب الذين باعوا الوطن بذراهم معدودات .

أضف إلى هذا أن معظم القوات كانت غير مدربة على أساليب القتال بجهل زوح الضبط والربط . . وكان الرذيف والمتطوعون لا يعرفون استخدام الأسلحة الاستخدام الصحيح ، ولو كان هناك تدريب لقوات الاحتياط



أو كان ثمة حرس وطني منظم ، يدمر طرق مواصلات العدو ، ويزعج تجمعاته ويقطع الترع والجسور لاستفاد الجيش استفادة كبيرة . . وما سرحت نفسها قوات كفر الدوار دون أن تصدر لها الأوامر بالانقضاء عند انتقال القتال إلى ميدان التل الكبير .

ولا نستطيع أن نحمل ( عرابي ) وحده كل ذلك لأن حکام هذا البلد وعلى رأسهم الجالس على العرش كانوا ضالعين في الخيانة مع جيوش الاحتلال كما أنه لم تدع الفرصة لعرابي لأن ينظم جيشه أو يدربه على أساليب القتال إذ أن المؤامرة خطت سريعا ، وتفتت بسرعة مذهلة كي تقطع الطريق على هذا البلد حتى لا يتقدم . . وعلى هذا الجيش حتى لا يقوى . . ومن هنا رأينا أن نعرض في هذه الحرب للنواحي والأسباب العامة أكثر مما بحثنا وفحصنا في الأسباب العسكرية — ذلك لأن الحركة العرابية كانت ثورة أكثر منها حريا

ثورة حمل لواءها هذا الجندي الفلاح . . الذي تنحى له الهامات احتراماً لجهاده . . ووطنيته وإخلاصه . .

فلا أحد ينكر قيمة هذه الصرخة التي أطلقها في وجه الاستبداد :  
« لقد خلقنا الله أحرارا ولم يخلقنا تراثا ولا عقارا . . فوالله الذي لا إله إلا هو : لن نكون عبيدا بعد اليوم » .



## بيان المراجع

### المراجع الأجنبية :

- 1— Modern Egypt Cromer .
- 2— Secret History of the British Occupation of Egypt :  
Blunt
- 3— How We Defended Arabi
- 4— The Trancit of Egypt P. Elgood
- 5— The Ruin of Egypt .
- 6— Blue Book Egypt .

### المراجع العربية :

- ١ — تاريخ مصر قبل الاحتلال البريطاني وبعده  
تأليف السيو تيدور رودشتين وتعريب  
الأستاذ على أحمد شكرى .
- ٢ — المسألة المصرية  
السيو فرنسيه -- تعريب الأستاذ  
عبد القادر حمزة .

المراجع العربية :

- ١ - مذكرات عراقى  
عدد دار الهلال
- ٢ تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده  
للسيد محمد رشيد رضا
- ٣ يوم ١١ من يوليو سنة ١٨٨٢ للآن  
عمر طوسون
- ٤ أحمد عراقى  
للأستاذ عبدالرحمن الرافعى
- ٥ أحمد عراقى الزعيم المفتى عليه  
للأستاذ محمود الحنفى
- ٦ - مطالعات مختلفة .

## هيئة قناة السويس

### حركة الناقلات :

سجلت الناقلات العابرة خلال أغسطس الحالى ( ١٩٦٢ ) زيادة عددية قدرها ٦٦ ناقلة أى بنسبة ٨,٦٪ مقارنة بتلك العابرة فى أغسطس الماضى اذ بلغ عدد ما عبر منها خلال شهر أغسطس سنة ١٩٦٢ ( ٨٣٣ ) ناقلة مقابل ٧٦٧ ناقلة فى أغسطس من العام الماضى .

وطبقا لاتجاهى العبور فقد زاد عدد الناقلات العابرة من الشمال بمقدار ٣٦ ناقلة ( ٤١١ ناقلة مقابل ٣٧٥ ناقلة ) ويرجع هذا الى الناقلات الفارغة التى زادت عدديا بمقدار ٣٧ ناقلة ( ٣٨٢ مقابل ٣٤٥ ) بينما نقصت الناقلات المحملة بمقدار ناقلة واحدة ( ٢٩ مقابل ٣٠ ) .

اما الناقلات العابرة من الجنوب فقد زادت بمقدار ٣٠ ناقلة . ( ٤٢٢ مقابل ٣٩٢ ناقلة ) وقد حققت تلك الزيادة الناقلات المحملة ( ٤١٢ مقابل ٣٨٢ ) بينما لم يحدث أى تغير فى الناقلات الفارغة ( ١٠ ناقلات فى كلا الشهرين ) .

وزادت الحمولة الصافية للناقلات العابرة خلال الشهر الحالى مقارنة بما عبر خلال أغسطس من العام الماضى ١.٦٣.٠٠٠ طن أى بنسبة ٩,٢٪ ( ١.٢٦٧٣.٠٠٠ طن مقابل ١.١٦١.٠٠٠ طن ) وتمثل الحمولة الصافية للناقلات نسبة قدرها ٧٤٪ من مجموع الحمولة الصافية للسفن العابرة خلال أغسطس ١٩٦٢ وكانت هذه النسبة ٧٣٪ فى أغسطس ١٩٦١ .

وبلغ متوسط كميات المواد البترولية المنقولة على كل ناقلة محملة ٢٧١٢٧ طنا فى أغسطس مقابل ٢٦٤٤٠ طنا فى أغسطس ١٩٦١ .

كما بلغ متوسط الحمولة الصافية ١٥٢١٤ طنا فى أغسطس ١٩٦٢ مقابل ١٥١٢٧ طنا فى أغسطس .

## فهرس

الصفحة	الموضوع
٣	الاهداء
٥	مقدمة
١١	الجملة الانجليزية على مصر
١٤	قناة السويس
١٦	مصر فى قبضة الديوان
٢٧	توفيق
٢٨	مظاهرة قصر النيل
٤٩	جناية جلادستون على استقلال مصر
٥٦	ميثاق النزاهة
٦٠	ضرب الاسكندرية
٦٩	انحياز الحديدو إلى الأعداء
٧٧	القيادة
٩٤	خيول سان جورج
٩٩	عمليات الميدان الشرقى
١٠٧	معركة التل الكبير
١١٦	يوم الاحتلال
١٢٣	بوكب الحراب
١٣٠	هذه الثورة فى الميزان
١٤١	بيان المراجع





## مطابح الدار القومية

١٥٧ شارع عبّيد - روض الفرج

تليفون } ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢  
٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤